
د. أحمد خالد توفيق
الغث
من القول
كيان كورب
دار ليلى

د. أحمد خالد توفيق

الغث من القول

كيان كورب
(دار ليلى للنشر والتوزيع)

الكتاب:
الغث من القول
المؤلف:
د. أحمد خالد توفيق
الغلاف:
محمد محمود
التنفيذ الفني:
حسام سليمان
التدقيق اللغوي:
كيان كورب
(دار ليلى)
* * *
إدارة التوزيع:
أ. عبد الله شلبي
الإشراف العام:
أ. محمد سامي
* * *

رقم الإيداع: 22805 /2010

الترقيم الدولي: 978-977-6386-16-7

المهندسين- 23 شارع السودان- تقاطع مصدق- الدور الرابع- مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885286 (012) (002)
البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

د. أحمد خالد توفيق

الغث من القول

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى

الفهرست

مقدمة

الغث – حسب مختار الصحاح – هو اللحم الهزيل أو الحديث الرديء الفاسد. وهو كما نرى عنوان مناسب ومغر جدًا لسلسلة المقالات هذه. من طرق الدفاع الخبيثة عن النفس أن تكون قاسيًا مع نفسك، فهذا يجعل خصمك يدخر جهده منذ البداية. تذكرت فيلم رسوم متحركة قديمًا، كان بطله كلما حوصر بفتوات يريدون ضربه يوجه لنفسه علقة ساخنة جدًا، مما يجعلهم يهزون رءوسهم في حيرة ويرحلون..

هل يعني هذا أنها غثة فعلًا؟.. بالطبع لا.. لو كنت موقنًا منذ البداية أنها غثة كلها لما طلبت منك أن تقرأها، فمن الحماقة أن

أطلب منك قراءة شيء أعتقد أنه خالٍ من النفع. فيها لحم وبعضها ممتع أو يدعو للتفكير..

هل يعني هذا أنها مقالات رائعة؟.. بالطبع لا.. فيها الكثير من الصدق والحرارة، لكن هذا لا يمنحها تاج الروعة أو عرش التميز.. إنها كما قلت تحمل مزية الصدق. وتحمل مزية أن هناك جهات نشر طالبتني بها. وتكرمت بنشرها. وهناك قراء تكرموا بالبحث عنها ومتابعتها ومناقشتها. هذا جعل لها قيمة ما.

نشرت هذه المقالات في أماكن متفرقة، وإن كان معظمها في جريدة الدستور قبل اغتيالها. وفي موقع (بص وطل) على شبكة الإنترنت. يمكنك أن تجد كل حرف كتبته على شبكة الإنترنت. لكنني في النهاية ابن الكتاب وربيبه. ولا أؤمن أنني كتبت شيئًا ما لم أمسك به مطبوعًا على ورق جميل.. تضع خطًا أو تثني صفحة أو تسكب كوب الشاي على الصفحة. هذا هو اختراع الخواجة (جوتنبرج) في كامل عنفوانه ومجده. لا يمكنك أن تشعر بالشيء ذاته في الفضاء السايبري حيث أفكارك مجرد ومضات الكترونية وتباديل بين علامة الواحد والصفر.. دعك من الحاجة البشرية

الطبيعية لأن تضع كل أولادك تحت سقف واحد.

أما عن الانتقاء من هذا الكم المرعب من المقالات. فقد كان سهلاً نسبيًا.. هناك مقالات عديدة بردت مواضيعها التي كانت ساخنة جدا وقتها (مثل مقالات انفلونزا الخنازير العديدة)، وهناك مقالات عرفت يقينًا أنني كنت مخطئًا عندما كتبتها. وهناك مقالات وجدتها سخيفة جدًا. برغم هذا ظل كم المقالات الصالحة للنشر هنا كبيرًا جدا. لذا لجأت لطريقة اختيار علمية دقيقة هي القرعة!.

أرجو أن تروق لك هذه المقالات أو على الأقل تجد فيها جديدًا. فإن لم تجد فلا تنكر أنني أنذرتك..!

د. أحمد خالد توفيق

aktowfik@hotmail.com

القسم الأول

وفيه حديث عن سياسة البلاد،

وما استجد في حياة العباد



أوباما والذيل اليهودي

منذ بضعة أسابيع قلت إن فوز ماكين بالانتخابات شبه مؤكد، واستندت في هذا إلى رأي مفكرين كبار قالوا إن أمريكا ليست مهيأة بعد لرئيس أسود أو رئيس امرأة، وإنه في ساعة الجد سوف يتم انتخاب الأبيض الانجلوساكسوني البروتستانتي WASP.. أي (ماكين) باختصار شديد. طبعًا كان هذا قبل الأزمة الاقتصادية وسارة بالين وعوامل أخرى كثيرة جعلت فرصة أوباما شبه مؤكدة في الفوز، ما لم تحدث معجزة أو يتورط أوباما في فضيحة جنسية خلال هذه الفترة القصيرة. الخلاصة إن الاعتراف بالحق فضيلة بلا شك..

غير أن أوباما نفسه مقلق.. ها هي ذي الانتخابات لم تبدأ بعد والرجل يبذل الوعد تلو الوعد لإسرائيل في سخاء، حتى وصفه

روبرت فيسك ساخرا بأنه (يبدو كأنه يرشح نفسه للكنيست الإسرائيلي لا رئاسة الولايات المتحدة). ربما أكون مخطئا كالعادة. لكن هل فيسك يتكلم بما لا يعلم ؟

كبرهان على هذا الكلام. ظهر مؤخرا إعلان لحملة أوباما منشورا في موقع أمازون ضمن إعلانات مدفوعة عن كتاب (اللوبي الاسرائيلي). اضطر أوباما لرفع هذا الإعلان بعد ما كتب عنه محرر نيويورك صان. أكد أوباما أن الإعلان ظهر هناك بطريق الخطأ.. لم يقرأ الكتاب لكن ما سمعه عنه يجعله لا يتفق مع مؤلفيه. مذعورا أكد أن له وجهة نظر مختلفة عن الكتاب وأنه يؤمن بمساندة إسرائيل بلا حدود.. وهو يرى أن ما يقال عن كون مساندة إسرائيل تسيء لسمعة أمريكا كلام فارغ.. هكذا يؤكد أوباما ما قاله فيسك من قبل..

مع الانتخابات الأمريكية يكثر الكلام عن اللوبي اليهودي في أمريكا. لفظة لوبي في حد ذاتها مشتقة من رواق Lobby البرلمان البريطاني الذي كان الأعضاء يجتمعون فيه قبل المجادلات البرلمانية. وحجم هذا اللوبي اليهودي يتراوح بين كونه يدير مصائر العالم من خلف الستار في ضوء الشمعدانات السباعية، وبين كونه

غير موجود على الإطلاق كما يرى البعض. هل إسرائيل تحرك الولايات المتحدة بيد قادرة اسمها اللوبي اليهودي ؟ أم أن إسرائيل هي نفسها يد الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، تنفذ سياستها بكفاءة وقدرة كما يرى (هيكل) ؟

الانتخابات الأمريكية تعيد هذا السؤال للأذهان. وقد تذكرتْ قناة الجزيرة ذلك الكتاب المهم (اللوبي الاسرائيلي) الذي كتبه ميرشايمر ووالت عن اللوبي الاسرائيلي، وصدر عام 2007 كتطوير لورقة بحثية صدرت عام 2002. الأول أستاذ علوم سياسية في شيكاغو، ومعارض عنيف لحرب العراق و له مقالان مهمان عنها هما (الحرب غير الضرورية) و(إبقاء صدام في الصندوق)، وكرر في كل مناسبة أن الحرب على العراق هدفها الأوحد جعل إسرائيل أكثر أمنا. الثاني أستاذ علاقات دولية في هارفارد. من حين لآخر يجرؤ مثقف في العالم الغربي على أن يعلن إن الامبراطور عار تماما.. طبعًا يتحدى بذلك تهمة معاداة السامية الجاهزة لتطير الأعناق وتقطع الأرزاق. وحتى اليهود الذين ينتقدون إسرائيل يصير اسمهم (اليهود الذين يكرهون أنفسهم). حتى استعمال مصطلح اللوبي الاسرائيلي

هذا الكتاب يقول باختصار إن مجموعة المصالح التي تشكل اللوبي الاسرائيلي تدفع الولايات المتحدة دفعا إلى تشجيع الجرائم ضد الفلسطينيين ومعاداة سوريا وإيران وتجاهل الولايات المتحدة مصالحها الجوهرية. هو لوبي مثل أي لوبي آخر يهدف لمنفعة أعضائه، لكنه يعمل ذلك بكفاءة عالية جدا. وهذا اللوبي اقنع الشعب [illegible]
[illegible]
لإسرائيلية تسيطر بقوة على الكونجرس، مع 34 مؤسسة سياسية
[illegible]
[illegible]
كل حال، برغم أن اللوبي يراقب بعناية ابحاث وكلام أساتذة الجامعات. ويجب أن نتذكر أن جامعة هارفارد أصرت على محو شعارها من أية نسخة من هذا البحث. كما أبرزت بوضوح أن الدراسة تعبر عن رأي كاتبيه ولا علاقة لها بها.

ليس اللوبي مكونا من اليهود فقط. بل يتضمن عددا هائلا من المبشرين الإنجيليين ومنهم بات روبرتسون ورالف ريد. هؤلاء يؤمنون بأن إسرائيل نبوءة إنجيلية لابد أن تتحقق. والعرب لأوغاد يمنعون تحقق هذه النبوءة. هناك كذلك شبكة من الإعلاميين اليهود في وسائل الإعلام. ومعظم رجال اللوبي يؤمنون بسياسات حرب النيكون ولهم دور بالغ الأهمية في تحريك الحرب على العراق بالتالي أمريكا تحارب وتضحي وتدفع من أجل إسرائيل حاسبة أن هذه مصلحتها. اسرائيل تلقت مساعدات قدرها 140 مليار منذ الحرب العالمية الثانية وهي أكثر طرف ينال مساعدات أمريكية في العالم. دعك من أنها الطرف الوحيد الذي ليس عليه أن يبرر أوجه انفاق المعونة.. يعني هي حرة تماما. ومن أجل اسرائيل استعملت الولايات المتحدة حق الفيتو 32 مرة منذ عام 1982 حتى اليوم.

هذه العلاقة أفسدت تماما علاقات أمريكا مع العالم العربي
[illegible]
[illegible]
حتى لا يحرجها كما حدث في حرب الخليج الثانية

هذا ما قاله الأستاذان الأمريكيان.. بذكاء تحميا استعمال

لفظة (لوبي يهودي) وفضلا استعمال (لوبي إسرائيلي) حتى [illegible] الإيحاءات إلى السياسة لا الدين. وهما يذكران الحقيقة المعروفة: أمريكا ليست حليفة إسرائيل ضد الإرهاب. بل هي تواجه الإرهاب لأنها حليفة إسرائيل!. سجل اسرائيل في الإبادة العرقية ليس أكثر نصاعة من أعدائها.. وشامير الإرهابي الذي اغتال (فولك برنادوت) وسيط الأمم المتحدة للسلام. صار رئيس وزراء اسرائيل وقال بوضوح تام: اليهودية لا ترفض الإرهاب كسبيل للصراع

هناك من امتدح الكتاب باعتباره دعوة للصحوة أو (مكالمة [illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible]

"البحث يتضمن الكثير مما هو حقيقي والقليل مما هو جديد..."

[illegible]

[illegible] إسرائيل إذا كان انتقد لا يسلب اسرائيل حقها في الوجود [illegible]

[illegible]

يقول جوزيف مسعد أستاذ السياسة العربية في جامعة كولومبيا: هل اللوبي الاسرائيلي قوي فعلا؟. لقد وجهت قوتهم المروعة ومحاولاتهم لطردي من الجامعة، لذا أجيب. نعم.. لكن هل اللوبي يتحكم في سياسة أمريكا نحو الفلسطينيين؟.. أقول لا.. أمريكا سياستها استعمارية أصلا.. وهي لا تساند من حركات التحرر الا ما يناسب سياستها..

أما من هاجموا الكتاب فقالوا إنه مجرد تنويع على نظريات المؤامرة البلهاء المعتادة.. إن فرضية أن الذيل اليهودي يحرك الكلب الأمريكي تبسيط لا تتحمله الأمور. أحدهم قال: هذا يفترض أنه لو [illegible]

وعاد ليعمل في المقاولات مع أسرته!. من الغريب أن من ضمن معارضي الدراسة (نعوم تشومسكي) نفسه الذي رأى أن البحث اسطاتي جدا. قالوا كذلك إن الكتاب ابتزاز أخلاقي وإن البترول [illegible]

عليها المولعان بسهولة: لو كان هذا هو الحل لساندت أمريكا الفلسطينيين ولكانت صديقة إيران الحميمة.

هكذا يستطيع لوبي عربي في أمريكا.. تصور هذا!.. البداية هي الرابطة القومية للعرب الأمريكيين ٧٨٨٨ التي تكونت عام 1972، ثم ظهرت جمعيات أخرى كنتيجة للكراهية المتزايدة ضد العرب مع حرب 1973 وحظر البترول. قال جيمس زغبي ان اللوبي العربي يعاني مشكل في التنسيق والانتخاب.. بالاحرى هو غير موجود تقريبا.

الانتخابات الأمريكية على الابواب، وسوف نرى ونسمع، لكن سياسة أمريكا ثابتة تجاهنا ولن تتغير ما لم نتغير نحن. سواء هز الكلب لديه أم هز الذيل الكلب.

نعيب زماننا

أدرك أنه يُهان. وكان الوزير عبد المنعم عمارة يقف بجواره، فـرح

يضحك في عصبية ليمتص حرج الموقف. كان الامر واضحا.. هذا الضيف الافريقي لم يؤذنا أو يشتمنا ولم يره أحد من قبل، وانما الجماهير المصرية تسخر منه لأنه يتكلم الفرنسية ولأنه أسود لامع البشرة كالدنجن. وهو ما ذكرني برأي لكاتب أمريكي قال فيه: "العرب من أكثر من قابلت عنصرية وتعاليا على السود". ضايقني هذا

[illegible]

على صحته. حدث هذا الموقف منذ عشرة اعوام وبيف. ورأيته على

[illegible]

الحضري الذي لم يصدر عن قلة صحرفه و بحيا من مدرجات مليئة، وعلى شاشات المصريون في العالم كله

تكررت ذا ت المشهد من جديد عندما نزل الفريق التونسي بانكاس من فوق النشمة، ورأينا بوضوح أن هناك من هاجم حامل

[illegible]

حدث هذا بينما المذيع يتكلم عن التحضر الرياضي الذي قابل به المصريون الهزيمة!

هناك مثال آخر أشعرني بخجل شديد، وهو مثال قدمته قناة

ناشونال جيوجرافيكس: سائح أمريكي يجرب حظه مع سائقي التاكسي في مصر وفي الصين.. في البداية يريد أن يرى الأهرام فيقابله سائق التاكسي المصري الذي يطلب منه مائتي دولار مقابل يوم من (الخدمة السياحية الممتازة)، ويقول له بانجليزية لترجمات التهييرة: "مي سبيك انجليش يا خوجه. يو وونت سي بير ميدز مي شو يو بيراميدز". ينصرف السائح فيدفعه السائق ويقبض على مضض أن يأخذ مائة دولار. يركب السائح مع سائقنا وله طلب واحد بسيط هو ان يرى الاهرام. لكن السائق يأخذه إلى أماكن غريبة حيث يرغمه على صيد السمك في النيل لمدة ساعتين. ثم يأخذه لبيت الأسرة ليشرب معه الشاي بالمضرع بالعوة. ثم يجلس معه على مقهى لشرب الشيشة. والسائح يردد (بيراميدز) بلا توقف. يقول له السائق. "يو وانت سي ماتش يا خوجة؟.. أهلي.. أهلي... جود

[illegible]

[illegible]

ليريه الأهرام من على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا ويطلب منه أن يذهب وحده ليشاهدها ويعود له. هنا يفهم السائح الأمريكي أن هذه

هي (الفهلوة المصرية) المعروفة فالرجل لا علاقة له بالسياحة وهو
خائف من الأغراب حتى لا تخرب شرعة السياحة بينه. فقط وضع
للسائح برنامجاً عشوائياً بعبارة حملاً يرضيه أي شيء. سمعت
الحكاية الشبيهة مع سائق صيني في بكين. وأترك هذا الجزء لخيالك..
فقط أقول إن السائق تقاضى منه دولار هو الأجر. لكن كسعر نهائي
بلا فصال.. وجعل السائح يرى كل شيء ممكن في يوم واحد، وأخبره
منذ اللحظة الأولى بما لا يستطيع أن يقدمه له.

ما أردت قوله هو إن الشخصية المصرية تغيرت جداً، ولم تعد
على ما يرام منذ أعوام.

دكتور (علاء الأسواني) في قصته (الذي اقترب فرأى) قال
[illegible]
بها جهراً، لكنه قالها على لسان بطل القصة. وإن كانت حرارة
التعبير لا تترك لديّ شكّ في أن القصة تحمل جزءاً ولو كان ضئيلاً من
رأيه الخاص.

سألني شاب مهموم مكتئب ككل شباب هذه الأيام: "هل

موضوع حضارة 7000 سنة هذا صحيح ونحن فقدنا هذه
الحضارة؟.. أم أنها أكذوبة رددناها حتى صدقناها ؟". قلت له:
"هذا جزء مهم من متغيرات الشخصية المصرية: إنها فقدت الثقة
بنفسها. ولم تعد تؤمن بالماضي ولا تعيش الحاضر وتخاف
المستقبل.. كل شعب في العالم يقف على أساس متين يخوض حروبه
وصراعاته وهو راسخ القدمين فوقه. حتى لو كان هذا الأساس حدث
[illegible] 3000 [illegible]
فعلت إسرائيل. لكن لابد من أساس تقف عليه وإلا فأنت هالك".

هل السبب هو الفقر والضغوط الاقتصادية؟.. ربما.. لكن يجب
[illegible]
[illegible]
التحضر واحترام الآخر و(قلبهم على بعض). هل هو الزحام؟.. لست
[illegible]
[illegible]
طرأت على الشخصية المصرية فلا تستطيع التوقف.

1- ظاهرة السفينة الغارقة: الشعور العام بأن السفينة تغرق أو غرقت يجعل الشخصية المصرية تتعامل بمنطق (ما جاتش عليا أنا). هكذا يحاول كل واحد جاهدا أن يسرق في مكان عمله أو دائرة نفوذه، فإن لم يسرق فهو لا يشعر بأية غيرة على المال العام.

[illegible] [illegible] قبل أن يغادره ليكلف الدولة بمحو المال. عندما يبدد المصري ماله على مكالمات الموبايل فتنصحه أنت، يذكرك بالمليارات التي تخرج [illegible] [illegible] [illegible] مصري مسمارا من السفينة فكيف ستبقى طافية؟

2- [illegible] [illegible] مصعد، يعرف كيف أن السكان يمتنعون عن الدفع، وكل واحد يشعر [illegible] [illegible] المصعد فلا يتحمل أحد المسئولية. أحيانا يبدو مبلغ خمسة جنيهات

مرهقا مجحفا، بينما هم يدفعونه بسهولة تامة في مكالمة موبايل. هذا ينم على نطاق أوسع في كل المجالات.

3- ظاهرة أنا أولا: الرحمة والإحساس بالآخر صارت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تشتعل.. أسعار العقارات تشتعل.. عندما يصير سعر كيلو اللحم [illegible] [illegible] [illegible] السوق هم مصريون كذلك!

* * *

قال لي صديقي: "حد الحذر.. فلربما فهم أحدهم من كلامك [illegible] تنتقد الشخصية المصرية ذاتها". ضحكت كثيرا من حسن نيته لأنه يفترض أن الناس لا هم لها سوى قراءة ما أكتب، وكأن

الظاهرة العصبية ستخرج عند تقول: "لا.. لسنا كما يظن هذا الرجل". الحقيقة أنني أنتقد الشخصية المصرية الجديدة فعلا وأنتقدها بشدة مع العلم بأنني مصري جدا ولا أجد نفسي على ما يرام أنا الآخر. وما أقوله هنا قيل من قبل في صورة راقية جدا في كتاب (ماذا حدث للمصريين) لد. جلال أمين. كما لا يزيد في أبسط صورة على ما يقوله أي سائق تاكسي تركب معه غدا: "الناس بقت وحشة قوي يا بشمهندز". فقط أقولها بالفصحى مع بعض الأرقام.

كنا نتحدث عن تلك الظواهر التي نصادفها كل يوم وتوقفنا عند الظاهرة رقم :

4- ظاهرة (نحن أكثر منهم مالا وأعز نفرا)، وحده يمكن أن [illegible]

5- ظاهرة (الفلوس كتير والحمد لله): نعرف أن تقرير [illegible] 2006 [illegible] 41 [illegible] 439 [illegible] دولارين في اليوم وأن 16.7٪ من المصريين تحت خط الفقر، حيث

تحتل مصر المركز 44 بين دول العالم. وسط كل هذه الضغوط [illegible] (معظم الأرقام المذكورة من جريدة البديل عدد 31 أغسطس 2007)، مليار جنيه ينفقها المصريون على الكلام في المحمول حسب دراسة أجراها د. محمد [illegible] 25 و50 [illegible] 120 و500 [illegible] 74 [illegible] 11 [illegible] المسابقات. وأكد د.فاضل أنه إذا تم توفير خمسة مليارات جنيه من التي تنفق على المحمول لمدة خمس سنوات. فستتخلص مصر من [illegible] 2005 [illegible] 600 [illegible] 22 [illegible]

هذا شعب من رجال الأعمال المهمين إذن.. لكنك تعرف [illegible] ونوعية المكالمات (أصل صوتك بيقول إنك تعبانة.. لا والله مش تعبانة. لأ أنا حاسس إنك تعبانة)

الفياجرا تكلف ما يقرب من مليارى دولار سنويا ويستعملها أكثر من ثلاثة ملايين مصري. هذا شيء مفهوم مع شعب محبط تحت الهرمونات في الطعام و الهواء الملوث والهموم على رجولته

الدجالون لهم نصيب كذلك.. فقد كشفت دراسة حديثة للمركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية ان المصريين ينفقون اكثر من 10 ملايين جنيه سنويا على الدجالين بسبب 275 خرافة على الأقل تتحكم في حياة المصريين. نفس الرقم مذكور في أماكن أخرى على أنه 10 مليار وهو ما سنتكلم عنه في الظاهرة السادسة. أما بالنسبة للدماغ التي يحترمها المصري جدا كأنها دماغ أينشتاين أو بريكو فيرمي، فقد أكد تقرير الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أن المصريين ينفقون علي السجائر والدخان نحو 4 مليارات جنيه عدد من المستوردين المصريين استوردوا أطعمة عدائية خاصة بالقطط و [illegible] 1999 [illegible] فقد استوردت مصر منه خلال نصف العام ما قيمته 5 ملايين دولار.

اكدت دراسة أعدها مركز الأبحاث بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ان إنفاق المصريين أثناء شهر رمضان يصل إلي 44 مليار

جنيه!. كذلك تشير الإحصاءات الرسمية إلي أن المصريين ينفقون حوالي 3 مليارات دولار في رحلات الحج و العمرة أي ما يعادل تقريبا دخل مصر السياحي كله واكثر من عائدات قناة السويس، وما يعادل إجمالي قيمة الصادرات المصرية مرة ونصف المرة..!. وبرغم كلام علماء كبار جدا من وزن القرضاوي وابن باز وسواهما عن فقه الأولويات. ومن فتوى دار الإفتاء المصرية: "ليس له حجة في التواق بتبعية من شخص يترك اخوانه الباكستانيين فريسة للفقر والجهل والمرض، لان المسلمين جميعا يجب أن يكونوا يدا واحدة يتعاونون على البر والتقوى". لكننا نسمع الفتوى التي نريدها فقط. وبالطبع يذكرنا الخبير الاقتصادي د. أشرف دوابة بأن من يطالبون بالتقليل من تلك الشعائر لأسباب اقتصادية عليهم عمل نفس الشيء مع الليالي السياحية وثقافة الترف. هذا منطقي.. ولو انتشر وباء من السفر للسياحة في إيطاليا نكون معنيين أن نحذر من هذا السلوك. حتى استفادة السعودية ذاتها من هذا الرواج – والكلام للخبير الاقتصادي - غير حقيقي لأن المستفيد الأكبر هي الدول المنتجة للسلع والخدمات التي تتداول في تلك الأماكن المقدسة، حتى المسابح

والصليت التي يصلي عليها من غير صنع المسلمين. أي أننا نجوع كي نأكل الصين

طلبت ذات مرة من أحد هواة تكرار العمرة أن يحسب المبلغ الذي سينفقه، وتعهدت له بأن يحمل هذا المبلغ كاملا الى مرضى الكبد الفقراء، فكان أن فر مني ولم يعد يطيق رؤيتي. الأمر اذن ليس تقربا من الله قدر ما هو رغبة في (تعبيير الجو) ولربما لمسة من الإدعاء والتفاخر، وقد سمعت عن ذلك المسئول الكبير – في السجن الآن – الذي كان يتقاضى الرشوة في صورة رحلة عمرة له ولزوجته!

الدروس الخصوصية تلتهم 24 مليار جنيه سنويا. ولا أعني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والثانوية بمعدل 75٪ بعد شهرين فقط من بدء الدراسة.. يعني قبل [illegible] بعض المدارس بأسعار رمزية لا تنجح لأنها تقضي على عنصر

التفاخر والرغبة في الظهور بمظهر من لا يدخر مليمًا من أجل أبنائه

لا أعرف كم ينفق الناس على حفلات الزفاف وطقوس العزاء. [illegible] الأسماء المهمة

6– ظاهرة (كله بالبركة). في الواقع هناك تضارب أرقام هائل [illegible] آخر، ولا فارق بين مليار ومليون.

7– ظاهرة (الموت للرأي المخالف): لن تقبل رأيًا واحدًا [illegible] عرقه، بينما الطابور الغاضب يستطيل. قلت ملحوظة عن أن هذا

الموظف يؤدي عمله جيدا. فكاد الصابور بمرفقي وكانوا يلمسون أسلاكي. لو قلت إن الموظف بطن كسول وإن هذا تهريج لا يمكن أن يحدث في الخارج فسوف يرضون عنك. من الخطأ القاتل أن تقول أن خلل التعليم في مصر يقع جزء من أسبابه على التلاميذ كما هو على المدرسين. لأن هذه تستوجب اللعن. لكن لو قلت إن المدرسين سيئون لانشرحت صدور الناس

8- ظاهرة (إن عديت فستعد جدا): كل من يختلف معك هو على الأرجح ملحد أو عميل للغرب أو شاذ جنسيا. بالنسبة للنساء ينحصر الاتهام في تهمة واحدة هي العهر. يمكن لكل من يطالع المدونات أن يدرك كم الصديد المحتشد في الصدور ويخرج عندما ينعدم الرقيب. عرفت قصة سيدة حازمة تولت أحد الأجهزة الحكومية المهمة، وبما أنها إدارية قاطعة فقد كثر أعداؤها. كانت عجوزا لا تصلح لإشاعات العهر، لذا اتخذت الإشاعة شكل قصة شهيرة جدا حول أنها دخلت لتجد العاملين معها يقرءون القرآن، فمزقته – والعياذ بالله – ووطأت صفحاته لأنهم يضيعون وقتهم عندما سمعت هذه القصة قلت لهم: لو أن زعيم المافيا شخصيا كان في

مكانها لما جرؤ على ذلك. لكن هذا النوع من الإشاعات له قدرة خارقة على التوالد الذاتي ويصدقه الجميع، ومن الواضح أنه ضرب تحت الحزام بلا رحمة ولا شرف تعامل

9- ظاهرة (القسوة): تكلمت في مقال سابق عن التعالي العرقي على السود. ما أخبار اعتداء المخدومة على خادمتها الفلبينية وضربها وحبسها؟.. وماذا عن خادمتنا الإثيوبية الطفلة الضعيفة المصابة بفقر الدم؟.. هذه الأخبار صارت ركنا ثابتا في الصحف. دعنا نضف لهذا القسوة على الحيوانات وهي تنم عن ثقافة [illegible] الكيروسين على الكتاكيت الحية ثم يشعل فيها النار ويرقبها في استمتاع وهي تحترق؟. كم مرة سمعت عن الذي أغرق كيسا مليئا بكلاب صغيرة في الترعة؟.. الأطفال غير طبيعيين لو لم يجروا [illegible] ينسى الناس أنه (في كل ذات كبد رطبة أجر)؟. كنت في معبد الكرنك ذات مرة ورأيت أقذر وأتعس كلب رأيته في حياتي. كلب

أجرب امتلأ جلده بالقروح والدمامل وسال الدم منها.. وكان يجر قدما مكسورة في مشهد مقزز، حتى إنني فكرت أن أريحه وأريح الناس منه بأن أحطم رأسه بحجر.. هنا رأيت سائحة أجنبية سحبته من عينيه حتى أقنعته بأن يرقد قرب قدميها. وراحت تربت على رأسه وتقدم له لقيمات من كيس طعام تحمله. هزني هذا المشهد.. هؤلاء ليسوا ملائكة وقد ظفروا بنصيبهم من ذبح البشر. لكن حضارة تعامل كلبا أجرب قذرا بهذه الطريقة لهي حضارة تستحق أن تبلغ ما بلغته. أعرف أن في بلدي من هم أتعس حالا من هذا الكلب. لكن هل هذا مبرر لقسوتنا الواضحة التي نورثها لأطفالنا؟. ثم من قال إننا نقسو على الحيوانات لأننا مشغولون بالرفق بالبشر؟.. لا وحياتك.. الواقع يقول إننا نقسو على الاثنين..

10- ظاهرة (لا للعمل الجماعي): لم تنجح أية محاولة [illegible] الجزرين أو شركات الاتصالات أو أي شيء. بالنسبة للشراء لم يحدث قط أن بارت سلعة ما بسبب ارتفاع سعرها، ولهذا لا تتحقق

أبدًا نظريات ماركس ولا يتشبع السوق إلى درجة انخفاض الأسعار هناك دائما من يشتري بأعلى الأثمان.. ربما من منطلق التفاخر.. لهذا سيقول لك سائق التاكسي: "البلد مليانة فلوس". جميل جدًا.. لكن لماذا لا تصل هذه الفلوس للأسر التي تعيش على أقل من دولار في اليوم للفرد؟. يصل متر الأرض لعشرين ألفًا لكنه يجد من يشتري.. لو صار سعر كيلو اللحم سبعين جنيهًا فلن يتوقف الشراء. أية دعوة جماعية لأي شيء لا تنجح أبدًا.

11- ظاهرة (هؤلاء صراصير): هذا الاستهتار يبدو واضحا [illegible] [illegible] علامة للسيارات كلها كي تمر على يمينه بسرعة البرق. وتنظر لراكب السيارة المدعمة فترى كتلة ضيق الجبهة كتمثال نياندرثال، شرس الملامح ضيق الأفق فخورًا بنفسه.. هذا كائن غريب ظهر مؤخرا. وماذا عن عصابات سرقة (عين القط) من الطرق السريعة بلا مبالاة بالسيارات التي ستخرج عن الطريق وتنقلب؟. هناك مطب صناعي مهم اضطروا لإزالته لأنهم كانوا يسرقون لافتات تنذر الناس

منه. فكلب وصمو اللافتة سرقها أحدهم ليلا.. النتيجة أن السيارات تنقلب بلا توقف عندما تكتشف هذا المطب فجأة.. ما الذي يمكن عمله بلافتة كتب عليها (احترس.. أمامك مطب صناعي)؟.. المصريون يعرفون الإجابة!.

12- ظاهرة (التفرنج): في كل مكان تمسح اللغة العربية [illegible] Message [illegible] الذي يسمي محله 666 [illegible] يرمز للشيطان! .. هو فقط يستتبع الثقافة الغربية كالببغاء.... [illegible] هذا جمع وطلبت (كذا) وخذ لنفسك، نظروا لك مندهشين من [illegible] هو: ماذا لا تستعمل عربية جيدة أو إنجليزية جيدة؟. لماذا ترقص

بين اللغتين ؟

13- ظاهرة (الرلبطحية): قس كل شيء على سلوك سائق [illegible] إضافيا. بينما هو مستعد أن يدور حول القاهرة عشر مرات إذا ركبت جواره بنت حسناء من إياهم. وهو يعتبر أن الزبون المثالي المحترم [illegible] ويدفع له عشرة جنيهات.

سوف أتوقف هنا لأنني من الممكن أن أستمر في العد حتى الرقم مئة!

البحث عن أم أنس

تصاعد الدم إلى رأسي غيظا عندما طالعت عدد مجلة روز اليوسف الصادر يوم السبت 21 مارس 2007، فقد وجدت في طرفه الوسطى الملونة مقالا للصحفية نهاد عرفت عنوانه (آخر ما أنتجته ماكينة التخلف والتطرف. جلوس المرأة على الكرسي زنا لا شبهة فيه!).. إلى هذا الحد؟

المقال يتكلم عن موقع إنترنت يدعى موقع (أم أنس)، التي تصف نفسها بأنها (علامة الدارين الدنيا والآخرة) وأنها (سيدة الزمانين ما مضى وما هو آت)، ثم تصدر فتوى تحرم الجلوس على الكرسي استنادا إلى أربعة أسباب منها أن السلف الصالح لم يجلسوا على المقاعد ولا الأرائك.. بل في استخدام المقاعد ما يوحي بالإعجاب

بالغرب، وهذا يهدم ركنا عزيزا من الإسلام هو الولاء والبراء..

لم تقل أم أنس هذا فحسب، بل اشترطت عدم تقديم الأزهار للمرضى لأن في هذا تقليدا للغرب. وأباحت كذلك الكذب والتزوير لـ (نصرة أمة الإسلام ضد بني علمان)..

المقال طويل ومليء بأمثلة صادمة قاسية توحي بأنك تتكلم عن مستشفى مجانين كبير.. وعلى كل حال أعتقد المرء لا يدهش لشيء. لقد أمست الهواية المفضلة للعرب اليوم هي التحريم.. يجب ألا يمر يوم من دون تحريم شيء جديد، وقد حكى الشيخ الغزالي رحمه الله عن ذلك الشاب في دولة خليجية محافظة الذي سأله عن رأيه في الخل. قال الشيخ في دهشة من غرابة السؤال: "هو حلال".. هنا نظر له الشاب في الأطة وقال: "دليلك..؟".. استشاط الشيخ الغزالي غضبا وقال للشاب المتحمس: "وما دليلك أنت على تحريمه؟.. الأصل في الأشياء الإباحة.. كل شيء مباح ما لم يكن هناك نص واضح في القرآن والسنة يحرمه.."

سمعت الكثير من تلك القصص، ولذا كنت على استعداد لتصديق ما هو أقل فداحة من هذا الخبر. لكن تحريم الجلوس على

فقد بدا لي ضرباً مبالغاً فيه من الشطط، ضرباً يفوق قدرتي على ابتلاعه أو تصديقه.

هكذا فتحت شبكة الإنترنت وبحثت عن الأخت (أم أنس) هذه حتى وجدت موقعها.. هنا أصابتني الدهشة.. يمكن لأي طفل أن يعرف [illegible]

[illegible]

أنني لا أخدع أحداً. ولم يرد صاحبه أن يخدع أحداً، إلا لو كان المونولوجيست يحاول انتحال شخصية عبد الحليم حافظ عندما يقلده..

مثلاً كيف يتحدث موقع سلفي عن المطوّع المريض نفسياً الذي يتسلى بتحسس أجساد الفتية المُرد، بعد ما يلومهم على عدم صلاة العصر أو حلاقة اللحية؟. كيف يذكر حيثيات الكذب فيقول: "وقد [illegible] بعد أن مارس اللواط مع أحد الغلمان"؟.. أو هذا الخبر عن الشيخ نفسه: "لقد عُرف عن العلامة النحرير والداعية الخريّر، عاصي [illegible]

النبي صلى الله عن أحد الشيوخ: (صلى الله عليه وسلم)؟!... وهذا الكلام عن ذباب أفغانستان الذي يشارك المجاهدين في طرد الأمريكان: "الذباب! ! أعوذ بالله كما يقوله من ذهب هناك. هذا الذباب العظيم الذي ورد ذكره في السنة المطهرة. يا إخوان، أمره عظيم. أي والله. إنه ما إن يمس جسد الأفغاني أو المسلم حتى يعطيه الله ضعف قوة أربعة عشر بعيراً. الله أكبر يا إخوان، ويا سبحان الله. انظروا. إذا لدغ جسد الكافر أماته في الحال وجلب له الأمراض التي تتفشى في بقية جلدته. يا الله. انظروا يا إخوان: ذباب، ذباب. يرسله الله لنصرة المسلمين حينما دل المسلمون!"

معنى واضحة إذن ولا تحتاج إلى أمثلة أخرى.. هذا موقع أنشأه من يريد السخرية من السلفيين.. في موقع آخر سلفي (نجد) وجدت من يتهم موقع (أم أنس) بأنه مدسوس من الرافضة.. رأيي [illegible] المجتمع السعودي جيداً، ويجيد العامية السعودية.. أي إنه شخص (من الداخل)...

المشكلة هنا ليست في الحروب الأبدية بين الوهابيين

[illegible]

محررة (روز ليوسف).. هناك احتمالان لا ثالث لهما: إما أنها لم تتفحص الموقع بدقة وبعد أخذت منه بالضبط ما يناسب وجهة [illegible]

في تلفيق قضية نقص الصلب المائس.

لا أعرف هل لعبت صحفيتنا العزيزة دور المخبر أم الضابط. [illegible] وجود لها أو لم تبلغ هذا الحجم .

لست أدافع عن السلفيين هنا. لكنني أدافع عن مبدأ الدقة [illegible]

بلا الضغط على زر Forward لتسري هذه المعلومة المغلوطة كالنار في الهشيم.. كل خطاب يملك ترسله إلى ألف عنوان في ربع دقيقة حتى قبل أن تقرأ محتواه.. شركة هوتميل سوف تلغي خدماتها المجانية قريبا وعليك إرسال هذه الرسالة لأي شخص.. هذه صورة لفتى الذي مسخ بعد ربع ساعة من دفنه لأنه كان يستمع للأغاني.. أيقونة الدبدوب التي ستجدها ضمن ملفات النظام هي فيروس يهودي خطير تم دسه على ملفات المسلمين.. هذه هي الفتاة التي تحولت إلى سلحفاة لأنها أهانت المصحف.. تم تحليل عينة من مشروب البيبسي الذي سقط على ملاءة الفراش فتبين أنها مليئة بفيروس سي وهكذا.. حتى نشعر بأننا أمة مترهلة لا تعمل أي شيء سوى الجلوس أمام الكمبيوتر وتبادل الأكاذيب والهراء

النقطة الثانية هي ولعنا بعدم استكمال قراءة أي شيء.. تجد [illegible]

بعبارة حقيقة لأنه لا أحد يحاول التدقيق..

هذا هو ما فعلته المحررة سواء بقصد أو دون قصد، وهذا الاستعمال أضعف قصيدتي ولم يقوها.. نعم هناك الكثير من الطرف و شطط، لكن هذا التلاعب في الحقائق يجعلك تلقائيا تقف في صف الجلاد لا الضحية (أو ربما هو العكس.. لست متأكدا) .

غنوة وحدوتة

سأحكي لك يا مريم قصة كانت حكيتها أمس.. في سك تحلو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وارد في مفردات عالمك.

قصة اليوم جميلة ولسوف تروق لك.. ما عدا نهايتها. هناك [illegible]

أنت تحبين الريف.. أليس كذلك؟.. قصتنا هناك.. قصة في قرية صغيرة ناعمة باسمة حيث يبدو كل شيء كأنما خلق لتوه. الربيع على الأبواب.. أنت تحبين الربيع.. أليس كذلك؟.. الأزهار ورائحة الحقول المحروثة و[illegible] ودود القز.. أليس كذلك؟ . تلك مفردات علمت في المدينة، لكن لك أن تتخيلي كيف تبدو الأمور في القرية الناعسة.. الأجمل هو أن اليوم هو الأربعاء، وكل الأطفال يحبون الأربعاء لأنه يسبق أجمل أيام الأسبوع: الخميس..

(زينب السيد إبراهيم) طفلة في [illegible] تقريبا.. زينب تحب اللعب في [illegible] أخوها (محمد) الذي يدرس في ذات المدرسة معها. إنهما يغادران [illegible] القرن. يوم معتاد..

أنت تتابعين باهتمام يا مريم.. يبدو أنك تحبين القصص التي تتحدث عن عوالم خيالية. لكنك كذلك تحبين أن ترى الأمس في القصص من حين لآخر

في المدرسة بانتظار انتهاء طابور الصباح.. لا يستطيع هؤلاء الأطفال أن يظلوا وقورين محترمين لحظة واحدة. لقد خطف (محمد) كيس (فاروق الدسوقي).. توعده الأخير بالضرب، بينما كان (عوض الجوهري) يحمل شرا خبيثا. لقد اصطاد ضفدعا ذكرا يحدق بتقيف عاليا، لكنه لم يعرف أين يضعه فخبأه في جيب المريلة. حاولت (نجاة) أن ترى الضفدع فلم يسمح لها. من ثم توعدته بأن تشكو للأستاذ في أول لحظة..

هكذا انتهى الطابور، وجلس الأطفال في الفصول الثلاثة الصغيرة التي تتكون منها هذه المدرسة.. فصول صغيرة اكتست جدرانها بالرطوبة والطحالب، لكنهم كانوا يشعرون بأنها واسعة جدا. أمامهم يوم عمل قصير ثم يعودون لبيوتهم. وبعدها يبدأ اللهو.. لهو حتى مساء الجمعة عندما يتذكر كل منهم أنه لم يخط حرفا في كراس الواجب.. (عوض) قلق لأن (نجاة) سوف تشي به.

بعد المدرسة سوف تعبر زينب ومحمد على الجسر حيث يستريح أبوهما تحت (الشجرة). سوف يهرع محمد للبيت ليجلب الطعام الذي أعدته الأم، ملفوفا في منديل كبير. لا لحم اليوم فاللحم يوم الخميس فقط.

هنا سمعوا صوت طائرات

ارتفعت الرءوس الصغيرة لأعلى في شغف وكلهم يتمنى لو استطاع أن يركض لنهاية لرؤية الطائرات الجميلة وهي تعبر السماء..

فوووووم!

وهنا اهتزت الأرض ودوى الانفجار الأول. زينب احتاجت إلى بعض الوقت لتفهم أن شيئا غريبا يحدث. المدرسة ترتج بطريقة غير مسبوقة. لكنها لحسن الحظ لم تجد الوقت الكافي لتدرك أن الطائرات تقصف مدرستها بالذات.. تقصف قلبها بالذات.

لن تحكي [illegible] بعد هذا. فقد تم كل شيء بسرعة.. فقط انتهت القصة تماما بالنسبة لزينب السيد ابراهيم عوض وأخيها محمد.. لن تكبر أبدا.. لن تحكي لأمها في خفر عن زلزال الانوثة الأول. ولن ترقص النساء بها في ليلة الحنة، وبالتأكيد لن يلوح زوجها بالمنديل

إياه، ومحمد لن يكبر ويسافر للعراق بحثا عن الرزق. آخرون كذلك منهم نجاة التي لن تشكو للمدرس بالتأكيد، وأيمن الشبراوي، وجمر عبد المجيد، وعادل جودة.. و.. و.. ثلاثون طفلا سوف يظلون أطفالا للأبد.. والمدرسة لم يعد لها وجود.. فقط بركة دم وكراسات ملونة ومحترقة.

أنت مندهشة لماذا حدث ذلك يا مريم؟.. إنها التاسعة والثلث [illegible] 1970 [illegible] بمحافظة الشرقية. يوم الخميس القادم يكون قد مر على هذا المشهد أربعون عاما.. منذ أربعين عاما أذاعت الإذاعة المصرية الخبر، ورأيت أمي ترتجف بلا توقف كمن تسري الكهرباء في جسده، ثم [illegible] مات.. منذ أربعين عاما كان هناك مأتم حقيقي في كل بيت مصري، وكتب الرائع صلاح جاهين قائلا

- الدرس انتهى لموا الكراريس.. ايه رأيك في البقع الحمرا يا ضمير العالم يا عزيزي؟ دي لطفلة مصرية سمرا. كانت من أشطر تلاميذي.. دمها راسم زهرة.. راسم راية ثورة..

ثم لصق الملاح رسم شمس الصباح.."

هذه هي القصة. أنا آسف إن كانت القصة لم ترق لك يا مريم.. لم أستطع أن أجعلها مبهجة أكثر. كيف أفعل ومدرسة الأطفال الصغيرة الفقيرة تلقت صاروخين وخمس قنابل كأنها لواء مدرع كامل؟. ولسبب أن إسرائيل كانت بحاجة الى أن تلقن عبد الناصر درسا بعد تزايد نشاط حرب الاستنزاف.

تساءلت إن كان العالم اهتز لهذه الجريمة؟.. بالطبع تضايق جدا. والله العظيم تضايق. وأعرب الجميع عن التأثر، لكن ليس لدرجة استصدار قرار إدانة من مجلس الأمن.. اسرائيل اعتذرت وأعطت العالم سيجارة فوضعها خلف أذنه وانصرف شاكرا..

نعم يا مريم، حتى في مصر نسينا كل شيء عن هؤلاء الأطفال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
دولة صديقة، وهناك من يؤمّن حدودها، وهناك من يحذّر لها

الأسمنت، وهناك من يعانق قادتها. وهناك من يلوم سكان غزة لأنهم يحدثون ضجيجا عاليا وهم يُذبحون..

نعم يا مريم.. أنا من جيل تعلم أن يكره كل ما هو إسرائيلي.. أكره علمهم وأتشاءم من منظره.. وما زال منظر حروفهم العبرية يجعل الشعر ينتصب اشمئزازا على ساعدي لأنه يذكرني بمنظر أقدام العنكبوت.

إن النعاس يداعب جفنيك. ولو كان حظي حسنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
أن تكرر ما حدث يوم الأربعاء الحزين.. أربعاء الرعد على رأي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في
كل مكان ويخطفونهم ويعذبونهم. فلماذا ننسى نحن؟

الدرس انتهى.. لموا الكراريس

خالدنا وخالدهم

كلما قرأت تفاصيل هذا الذي وقع في سيدي جابر، شعرت بأن هناك شابين يحملان كلاهما اسم خالد محمد سعيد. تواجدا في [illegible] 2010 [illegible] رحمة الله في نفس اللحظة. هناك خالدهم.. خالد تقارير الحكومة وكتاب الصحف القومية، وخالدنا نحن المصريين الذين يعلمون [illegible]

الحقيقة تضيع بسهولة ومن السهل على أي صوفاء أن تخفي حقيقة ما يحدث.. جربنا هذا من قبل في مواقف عديدة. لكننا [illegible]
[illegible]

منذ زمن أن نقرأ الصحف القومية مع بعض التعبيرات: (لا صحة لما نشر عن زيادة في الضرائب) . معناه (ما نشر عن زيادة الضرائب صحيح تماما). أو (جميع المصريين في سيراليون بخير) معناه (المصريون في سيراليون حالتهم زي الطين). هكذا تصير الصحف القومية مفيدة جدا وبالغة الصدق. هكذا يمكن أن نعرف رؤية من الأصدق بصدد خالد. دعك من أن الشاب (خالد) كان له أصدقاء يعرفونه جيدا وهم شهود مهمون.

ما هو الفارق بين خالدنا وخالدهم ؟

خالدنا شاب في الثامنة والعشرين من العمر. له وجه وسيم [illegible]
[illegible]
لطلب يدها؟!.. شاب سكندري ملأته المدينة الساحرة بحب الجمال [illegible]
[illegible]
[illegible]
ولديه شركة استيراد وتصدير صغيرة (على قده) . يمكن أن يكون

ابن أو أخ أي واحد منا. عرفت كذلك أنه عاش لفترة في أمريكا وله أخ يحمل الجنسية الأمريكية، وهو يهوى الإنترنت.. لا يعرف أن الإنترنت هوية قاتلة بالمعنى الحرفي للكلمة.. لكنه سيعرف هذا حالا .

خالدهم - بالصدفة - في نفس السن. هو شاب عاطل وضايع فعلا. إنه الرجل الذي لا تتمنى أبدا أن تقابله في زقاق مظلم. يتاجر في المخدرات وفار من الخدمة العسكرية. ويحمل مطواة قرن غزال. سبق له التحرش بفتيات ومطلوب في قضايا سطو مسلح

هل يمكن خلط الحقائق لهذا الحد؟.. لماذا لم نسمع هذا الكلام إلا من الداخلية. بينما يصر الجيران والأصدقاء على أنه مجرد شاب مهذب ظريف؟ . يبدو أن قدرته على الخداع كانت فائقة إذن..

خالدنا كان جالسا في مقهى الإنترنت في كليوباترا. عندما [illegible]

[illegible]

امتعضه وتساءل عما فعله.. كان هذا إعلانا بالكفر بالسمة [illegible]

[illegible]

العادية لديهما.. طوارئ يا عسل كل سنة وانت طيب.. هكذا انهالا ضربا ولكما على الفتى. حتى سقط على الأرض.. . لكن أحدهما أمهمه وأمسك برأسه وراح يضربه على الكاونتر مرارا.

ثم أن المخبرين حاميي القانون فقدا خالد إلى عمارة جوار المقهى وتوليا ضربه بالركلات في البطن والصدر حتى فقد وعيه،

[illegible]

[illegible]

سيدي جابر وسط ذهول الحاضرين. وبعد عشر دقائق عادا به بدعوى طلب سيارة إسعاف لنقله إلى المستشفى. لكنه كان قد فارق الحياة..

يقول الشهود إن مباحث سيدي جابر استثرت بلطفة ليس بحثا عن المخدرات بل بحثا عن محمول مزود بكاميرا قيل إنه استعمل صورا للجريمة. يقولون كذلك إن مباحث سيدي جابر مارست كل [illegible]

ما حدث.

خالدهم تصرف بطريقة محتقنة تماما . شخص بهذه المواصفات لابد أنه كان يحمل بانجو، وعندما رأى دورية يقودها

ضابط مباحث سيدي جابر ورجلا شرطة أصابه الهلع فابتلع ما معه من بانجو. أصيب بحالة من الإعياء وتوفي قبل بلوغ المستشفى. وقال الضابط في أقواله أمام النيابة إنه استخرج لفافة من القصبة الهوائية للمتوفى والتي أصابته بالاختناق. واستبعدت التحقيقات وجود شبهة تعذيب بعد مناظرة الجثة.

كلنا نعرف كيف يستخدم البانجو لتلفيق القضايا. وقديما قال ضابط شرطة بعيد عن النشر - أي رئيس مباحث لا يحتفظ في درج مكتبه بقطعة حشيش ومطواة قرن غزال وطبنجة لزوم تلفيق القضايا، هو رجل لا يعرف شغله!

لكن لندع الصور تتكلم. الصورة التي نشرت لجثة خالد [illegible]

الذي داس عليه؟.. لقد تحطمت الأسنان والفك وتشوه الوجه تماما.

خالدنا صار هكذا بعد تعامل بسيط مع الداخلية التي توحشت وصار من المستحيل إعادتها للقمقم.

خالدهم صار هكذا لعدة تفسيرات قدمتها الداخلية.. التفسير الأول هو ابتلاع كيس البانجو.. حتى لو كان البانجو محشوا فليس

من الشارع الجانبية تحطيم عظام الوجه.. التفسير الثاني هو التشريح لكننا كنا طلاب طب ورأينا الجثث وكيف يصير حالها في نهاية العام الدراسي بعد ما يعرفها مئات الطلاب شديدو الحرق. لكننا لم نر هذا المشهد.. التفسير الثالث هو ارتطامه بباب عربة الإسعاف. كثرة التفسيرات تدل على أنه لا تفسير لديهم.

خالدنا كما قال صديقه الصحفي بهاء تويتر في مقال له لم يتعاط المخدرات لأنه في الأصل غير مدخن، وأدى الخدمة العسكرية مثل أي شاب مصري

خالدهم مجرد مجرم تلقى عقابه وكما وصفته الصحف القومية بلطف: (شهيد البانجو).. ظريف جدا هؤلاء القوم [illegible]

بلا توقف. المشاعر ملتهبة ونحو لمستنا سمة الالتهاب، لكن لأن كاتب المقال يسخر من المتوفى ويهين أسرته وأصدقاءه.. بل يهين مفهوم الشهادة الديني أصلا..

خالدنا غيّر الكثير فعلا... لم تذهب قطرة من دمه هدرا وصار رمزا.. فوجدت أنه صارت له صفحة على الويكيبيديا العربية، أي

انه صار من المعلومات العامة التي يجب ان يعرفها المواطن المثقف. عقب أداء صلاة الغائب عليه بميدان كيلوباترا، تظاهر ما يقرب من 3 آلاف شخص من ابناء الاسكندرية والقوى السياسية المختلفة من اعضاء حركة الجمعية الوطنية للتغيير وحركة الاشتراكيين الثوريين و6 أبريل وحركة كفاية. حادث قد اظهر كم ان الامور بلغت حافة الهاوية ولم يعد احد يتحمل اكثر

خالدنا كان يعرف الكثير لو أخذنا بما قالته السيدة ليلى مرزوق امه.. قالت ان ابنها حصل على فيديو يتضمن لقطات بالصوت والصورة لاحد ضباط قسم سيدي جابر والمخبرين وهم يقومون بالاتجار في الحشيش، مشيرة إلى أن المجني عليه قام بنشر الفيديو بين أصدقائه وذلك منذ حوالي شهر. خالد قال إنه سوف ينشر هذا الفيديو في مدونة..

حتى لو كان خالدهم له وجود وكان يتاجر بالبانجو في [illegible] الإسكندرية من دون محاكمة ؟ وبأي حق يخرج ملفقان ساديتهما عليه لمجرد أنه لا يستطيع الرد؟ . يبدو أن أهل (شرمايا) اللبنانية

كانوا شديدي الرقة حين

خالدنا هو شهيد الطوارئ

خالدهم هو شهيد البانجو.. لكن العبقري الذي صنع هذه العبارة سوف يدفع ثمنها يوما ما. ولسوف يتمنى لو قطعت يده قبل أن يكتبها ارضاء لفلان باشا. هل أنت متأكد يا سيدي من أن طائرة الفرار المتجهة الى سويسرا سوف تقلع في موعدها حقا ؟

مرح عال جدًا

كانت السينما المصرية دائماً مواكبة لذوق الجماهير لذلك [illegible]
علاقة غريبة، فعلا في [illegible]
الاجتماعي [illegible]
ذلك أن كل بيت سينمائي كان فيه بار يعود الرجل مرهقا من الخارج فتسأله زوجته (تاخد كاس ؟)، ويبدو أنهم كانوا يتعاملون مع الخمر تعاملهم مع السجائر: (ماحبش الراجل اللي بيشرب) [illegible] بالعرق على جبهته.

بدأ السلم الاجتماعي يتغير، وصار زبون السينما هو الحرفي

والسباك. هنا ظهر الحشيش في الأفلام بكثافة وصارت الجوزة من لوازم كل فيلم. كل أفلام هذه الفترة لا تكاد ترى شيئا في كادراتها من الدخان الأزرق، لدرجة أن إكسسوارات فيلم (تحت [illegible] عزوز) شكلت أحرازاً لقضية مخدرات كاملة عندما ضبطتها الشرطة. ونادية الجندي المعجبة بانجذاب اللامع تتغزل في الجوزة: "جوزة من الهند ومركب عليها غاب". فيرد الحشاشون: "حصل لك الملس. هع هع هع". أضف لهذا نكتة أو نكتتين عن ليلة الخميس ونخوازع والركب ليكتمل جو الثمانينات. وأضف كذلك محمود عبد العزيز بطل الكيف الظريف. وهو يكحل ضحكته الشهيرة وعيناه شبه مغمضتين. والدخان يتصاعد من فمه أسود. لا ننكر هنا كذلك أن المد الديني في السبعينات جعل الناس تبحث عن مخدر لم يحرم صراحة دينيا. وهكذا ظهر مبدأ أن الحشيش لم يُحرم في القرآن بينما الخمر حُرمت. وهو منطق ناقشه فيلم الكيف ببراعة وأمانة

مع الوقت بدأت السينما تتملق الشاب (الروش) الطائش زبون المول.. هنا تكرس سينما الشباب مفهومين مهمين هما البانجو والبيرة. أي شاب طبيعي لابد أن يدخن البانجو ويشرب البيرة مع

ظهور البرشام في أفلام عديدة. لا يوجد فرح شعبي في أي فيلم جديد من دون بانجو وبيرة. ولا أفشي سرا إذا قلت إن معظم القرى حول مدينتي تعلمت هذا المفهوم الجديد. وصار البانجو من أساليب تعويض العريسين المحترمة. لو لاحظت لوجدت معظم هذه الأفلام تظهر مدمن البانجو كشخص ظريف محبوب لا يمكن الاستغناء عنه. قد [illegible] معضدة فعلا كما قلت.

الحشيش.. البانجو.. الماريجوانا.. القنب الهندي مخدرات. لا أبالغ لو اعتقدت أن كل جريمة في مصر تتم اليوم تحت تأثير المخدرات أو طلبا لثمنها.. كل حادث.. كل إهمال.. كل اغتصاب.. كل سرقة.. كل مشاجرة.

لماذا تذكرت هذا الموضوع الآن؟

إنه ذلك الخبر في الصحف عن نتائج تحليل دم سائق القطار 152 الذي [illegible] الشهير. الرجل تعاطى الحشيش قبل وأثناء قيادته القطار. أما سائق القطار 188 فقد عطل بجروره المسئولية عن توقيف القطار. هناك جهاز

أوتوماتيكي في القطار استشعر وجود عطل وخفض سرعة القطار من 129 كيلومترا إلى 67 كيلومترا، وهو ما منع كارثة ذات أبعاد دولية، لكنه لم يستطع الموقف بالكامل. من جديد المخدرة التي تسبب كل حوادث القطارات في مصر، والتي يبدو أنها مسيطرة على [illegible]

فيما موضوع التغيرات العديدة في الشخصية المصرية فلن يحصل، لكننا هنا نتكلم عن الحشيش بالذات.. اللجنة المشكلة من أساتذة الهندسة ونائب رئيس هيئة السكة الحديد وخبير من وزارة النقل اكتشفت أن جهاز اللاسلكي الخاص بالسائق سليم، لكنه لم يستعمله لدق النداء على عاملي الأبراج القريبين منه أو القيادة المركزية.

فتش عن المخدرات.. فتش عن الراحة.. فتش عن الدمع التي ينفق عليها المصريون كل هذه المبالغ لتذهب دماغ (بريحو فيرمي) ناسيها الناس تشتري الحشيش والبرشام وتزرع البانجو.. بينما بعض الصيادلة المنحرفين يمشون بينهم في مجلدات الفارماكوبيا عن عقاقير جديدة تصلح متى اكتشف المدمنون أن أدوية السعال تحوي

جرعة مخدرة من الكودايين؟.. بالطبع أخبرهم صيدلي بذلك، ومن اكتشف أن الترامادول يصلح لعمل (دماغ)؟.. أنا أتهم بعض الصيادلة منحرفين، وأتهم كذلك بعض المحامين معدومي الضمير الذين تخصصوا في إخراج كل تاجر مخدرات من السجن (كالشعرة من العجين) بسبب أخطاء الإجراءات. لهذا السبب لم تجلب عقوبة الإعدام لتجار المخدرات مردودا واضحا. أتهم كذلك المعتقد الشائع أن المخدرات مقوية جنسيا وهذا سبب قوي جدا للتعاطي لدى شريحة كبيرة من الطبقات الفقيرة.. يجب أن نزيل هذا الوهم عن الأذهان.

لقد غيرت المخدرات وجه مصر وسوف تغير مستعمليها بلا شك.

الأرقام المصرية جد لكنها مرعبة دائما.. في مصر يمكنك التعامل مع الأمور بطريقة (قليل – متوسط – زائد)، كأنك طبيب يصر على قياس حرارة المريض بظهر يده. يقولون إن حجم تجارة المواد المخدرة بلغ نحو 18.2 مليار جنيه في عام واحد.. ما يتم إنفاقه على المواد المخدرة تصل نسبته إلى 2.5 في المائة من عوائد الدخل القومي.. وهو حجم 79.5% [illegible] 32.8 في

المائة من عائدات الصادرات المصرية و41.3 في المائة من عائد السياحة و46.9 في المائة من تحويلات المصريين بالخارج.. معنى هذا أننا ننفق على الرواج العالي كل دخل قناة السويس تقريبا ونصف ما يأتي من السياحة. الحكومة المصرية تقدر نسبة ما يباد أو يصادر من المخدرات بـ 30٪ من الكمية الإجمالية وهي نسبة معروفة عالميا على كل حال لا يمكن تجاوزها. الخبر الجميل هو أن الكميات التي [illegible] الإنتاج.

من الأشياء التي لم أكن أعرفها أن عقار (الإكستازي) يتواجد في مصر.. وأن عقار الروهيبنول موجود عندنا. الروهيبنول مشهور جدا في الخارج لأنهم يسمونه بعقار الاغتصاب.. حيث يدسه الشاب [illegible] في الشراب فلا تعرف أي شيء عما يجري لها.. تخيل ما قد يسببه هذا العقار في مجتمعنا.

بين كل مائة شاب هناك 16 يجربون المخدرات، وهناك 4 من [illegible] 20 [illegible] 30 ألفا

الحوادث تتزايد بلا شك. تعرف هذه الحقيقة وأنت ترى هذه العيون المحمرة المنفتحة والنظرة الرخوة الثقيلة في كل مكان. ولسوف تتزايد مع الضغوط الاجتماعية والمطالبة والآباء المقيمين بالخارج مكتفين بمنح أولادهم المال، وتزايد معدلات الطلاق والتصدع الأسري. ولسوف نقابل أكثر من سائق قطار لم يمنع الجوزة في السنين القادمة. ما أعرفه أنا هو أنني سأكتب عن هذا الموضوع مرارا، وسأراقب أولادي جيدا جدا داعيا الله أن يحفظهم من تجربة سيجارة البانجو الأولى أو قرص الاكستاسي الأول. إلى أن تقضي الحكومة — بعون الله — على البطالة والفقر والقرف والحشيش وتجارة المخدرات

الوحش داخل الإنسان

صبيحة عيد الأضحى بعد الصلاة. يدوي في الجو خوار [illegible]

له، ثم السلخ ثم التقطيع والتعليق . بالطبع أتابع هذه الطقوس كضرورة ولا أحاول أن أركز معها اكثر من اللازم

في الاعوام القليلة السابقة لاحظت أن الامر يوشك على ان يصير كرنفالا . أسر كثيرة تجئ بسياراتها واطفالها وثياب العيد الانيقة. لتقف وسط الدم وترقب المشهد ولا تفوت منه ثانية واحدة. والكل يرفع الهاتف المحمول ليصور كل لحظة من لحظات الذبح. لا بأس.. لنقل إنها فرحة العيد وفرحة الطعام. وهي فرحة مشروعة.

لكن شيئا من [illegible] بدأ يتسرب الى نفسي، وانا الاحظ أن هنالك نوعا و صخبا من البلدة.. خذ مثلا هؤلاء الاطفال الذين اتجهوا نحو عجل مربوط الى عمود نور ينتظر دوره. وراحوا يرجمونه بالحجارة ويسبونه، بينما الكبار مستمتعون. حتى نهرت أنا هؤلاء الصبية. "حرام عليكم . مش كفاية حيندبح حالا ؟" السيارة التي تتوقف [illegible]
[illegible]
تصيح : "شوفي يا هبه!... البقرة خايفة تدبح! "

وقهقهة بينما تطل هبه — ذات ثمانية الاعوام — من السيارة

وهي [illegible]

من رحمة الله [illegible] هذه الحيوانات العجماء لا تفهم ما يدور حقا. لهذا تحمس احد الذكور جنسيا نحو انثى مربوطة جواره
[illegible]
يحاول تكوين أسرة. كانت هذه دعابة أقوى مما يتحمله الناس
[illegible]
[illegible]

بدأت أشعر بالرعب.. الامر يتجاوز فرحة العيد إلى مهرجان
[illegible]
يسخرون منهم.. الدم والخوف والالم. لا تقل لي إن هذا الحماس
[illegible]
تعذيب الحيوان. والأدهى أنني لم أكن أرى هذه القسوة فيما سبق..

ماذا حدث للمصريين؟ السؤال الملتاع الذي أطلقه د. جلال أمين منذ أعوام ما زال يتردد..

في الفترة الأخيرة صار السؤال هو: ماذا حدث للعرب ؟. .

لقد استعدت ذات المشهد وأنا أرى الصور الشنيعة لذلك الشاب

مصري أبدى مرافقته غربة لبنانية كاملة. وعلقته كالذبيحة.. وكالعادة يحمل الجميع أجهزة المحمول ليصوروا كل تفاصيل هذا المشهد.. الفرحة في العيون مع قدر لا بأس به من الانتشاء.. مشهد تعليق جثة موسوليني وكلارا بيتاتشي يتكرر بعد خمسة وستين عاما، مع كل مشهد لإعدام دون محاكمة Lynching في الغرب الأمريكي..

ماذا تعني؟... لا تقل لي إنه قتل أسرة من فضلك. فالمتهم [illegible] تحليل الحمض النووي أن دماء الجثة والطفلة عليه. فلا أرجح أن [illegible] أناسا يضربون رجلا فاشتركوا معهم.

أذكر عندما كنت طبيب امتياز أن جاءني في الاستقبال فتى متهم بتعاطي المخدرات، فطلبت من رجل الشرطة الذي يربطه بالأصفاد أن يصطحبه إلى الحمام.. على الباب حاول الفتى أن

يتملص، فانهال عليه الشرطي ضربا.. سقط على الأرض.. هنا فوجئت بأن كل رجال أمن المستشفى ورفيقي الشرطي ينهالون عليه ركلا في بطنه وضلوعه وخصيتيه بأحذيتهم الميرى الثقيلة، وهو يعوي ككلب جريح.. لم يعرف رجال الأمن من هو الفتى ولا ماذا اقترف، ولا يعرفون أي شيء سوى أن هذا جسد بشري يجب ضربه لإخراج طاقة العنف والسادية والإحباط بداخلهم. فلم يتركوه إلا وقد غيروا تشخيصه من (اشتباه تعاطي المخدرات) إلى (صدمة ناجمة عن نزف داخلي)..

نعم.. القصة تريبنا الكثير من السادية والعنف الكامن في النفس البشرية. تريك الحيوان الذي يختبئ تحت قشرة رقيقة يخشى أن يرى النور. والفكرة هنا أن هذا يمثل منظومة كاملة من الخلل في النفسية العربية والإحباط والتوتر، لكنني لا أرى فيها استهدافا للمصريين من قبل اللبنانيين.. السؤال بصراحة: هل لو كان هذا الشاب تونسيا أو سوريا كانوا سيطلقون سراحه ويعتذرون له؟... [illegible] الغريب؟.. ماذا يحدث لسائق السيارة المصري؟. وماذا عن إشعال

الإضرابات وتحطيم السيارات المدرة كلها، وتدخل قوات الأمن المركزي لتفتح الطريق ؟

ومن جديد – كما في أيام الجزائر – انبهرت وسائل الإعلام هذا المحمس، ووقعت في فخ نصبه الإعلام الإسرائيلي بالتأكيد.. إن هذه الجماهير أظهرت سادية لعينة. لذا حان وقت ممارسة الماسوشية الألعن: كل العرب يكرهون المصريين.. تعالوا نلتذ بهذه الفكرة وليحك كل منا تجربة مماثلة سابقة تجعل دمك يغلي. تعالوا نتشاجر على شبكة الإنترنت بين من يقولون إن هذه شعوب لقيطة لم تعرف خيرا من مصر يوما. ومن يقولون هذا مصري فهو يستحق ذلك. هناك من قال إن هذا طبيعي لأن القرية شيعية (غير صحيح) ومن [illegible] واضح في لب الفكر أصلا.

يعلق الشريف دائما د. محمد المخزنجي – وهو طبيب نفسي يلقي باللوم على ظاهرة [illegible] : ما حدث في "كترمايا" يتعلق بحالة الانحطاط العربي الذي يشملنا جميعا، وهو انحطاط نفسي وروحي مرتبط بالانحطاط السياسي

والاجتماعي الذي يهيمن على عالمنا العربي إلا قليلا، قليلا جدا، وهو أمر يتجاوز كثيرا حدود غريزة الثأر التي غدت بالدافع المحموم في ظل عدالة بطيئة غير ناجزة. وألاعيب قانونية لمحامي الشياطين، وفساد لا يمكن استبعاد وصوله إلى منصات العدالة.

ثم في موضع آخر يقول: "كل لغو مثار عن أن الجريمة تحط من كرامة مصر والمصريين، هو تغطية على حقيقة أن الإهانة بدأت وتبدأ من هنا، من الداخل المصري نفسه، حيث المناخ الفاسد يدفع بمئات الآلاف من المصريين الشباب، للبحث عن مكان آخر في العالم غير وطنهم الذي – بسبب تراكمات سياسية آثمة – لم يعد يوفر لهم فرصة لحياة كريمة أو طموحا مشروعا، فيفرون إلى هجرة شرعية أو غير شرعية في ظاهرة لم تشهدها مصر من قبل".

يعدد [illegible] قائمة الاتهام طويلة معقدة. لكن صورة الفتاة التي تموت ضحكا على مشهد بقرة مقيدة بالحبال تتشحط في دمها لا تفارق ذهني، وأعتقد أن السؤال يبدأ هنا

عيال من جذع

تابعت بشغف شديد خبر القافلة المتجهة لغزة لتوصيل المعونات وربما احداث ثقب في الحصار. هذه الاخبار كثيرة على كل حال. وفي الوقت نفسه لم اعتقد أن هناك خطرا حقيقيا على أعضاء القافلة.. هي لعبة علامية مدروسة جيدا تهدف الى احراج اسرائيل وفضح نفسها. وربما بضغط مصر جانبي من الهجوم اللفظي كذلك. السيناريو المتوقع والمنطقي هو أن تحتجز الحكومة الاسرائيلية القافلة عدة يوم ثم تعيدها من حيث جاءت

كل هذا اعتقادي الى أن فتحت قناة الجزيرة في ذلك اليوم. فوجدت المذيعة تتحدث عن الاعتداء على سفن [illegible].. بل رأيت جرحى ينزفون و [illegible] يرقدون على الارض غارقين في برك دم. مع

حديث عن الفعل الإجرامي وكلام عن 19 قتيلا ونحو 50 جريحا ، وهناك لقطات من على سطح سفينة توحي بحرب لا شك ان عددا كبيرا ممن رأيتهم أمس يتناولون طعام الغداء صاروا موتى غارقين في دمهم

يا نهار اسود ومنيل! .. لم يبلغ اكثر كوابيسي جموحا هذه الدرجة. هل جن الاسرائيليون تماما؟ كل طفل يعرف ان هذه سفن مدنية محملة بنشطاء سلام من كل الجنسيات اي ان أية دولة استعمارية تملك عقلا كانت ستسمح بمرور هذه السفن وتكسب نقطة. أو – ان كانت ماضية في غيها – تحتجز هذه السفن عدة ايام لتمنعها من المرور وتضطرها إلى العودة أما ان تطلق النار وتحدث مجزرة فهو الجنون بعينه.

هل جن هؤلاء وصارت لهم بدل العقول عبوات من الديناميت، أم [illegible] لا يمزحون ولا يهادنون على طريقة (الصدمة و الترويع). لقد اعتادت اسرائيل عدم العقاب.. أدمنته منذ مذبحة دير ياسين مرورا ببحر البقر ومذبحة قانا وانتهاء بمهاجمة هذه القافلة المدنية

على أن السلام خيار استراتيجي [illegible]
[illegible]
[illegible]
السلام ممكن.. فقط إسرائيل تجعله صعبا بعض الشيء.

كم شعرت بأنني فشل في حياتي أو لم أحقق شيئا. تذكرت وزراء الخارجية العرب.. عندها أشعر بأنني رائع وترتفع
[illegible]
[illegible]
مُطعَم، لكن من العسير فعلا أن تجد معنا لهؤلاء السادة

يأتي رد الفعل الأقوى – كما هي العادة منذ أعوام – من
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الجزائر وأشياء كثيرة جدا لا جدوى منها عمليا.

إن لهجة تركيا قوية وعصبيتها صادقة بلا شك. ويبدو أن هذا
[illegible]
شامخة مثل تركيا.. دولة من الدول التي يعمل حكامها من أجل
[illegible]
[illegible]
ضد إيران لأن الولايات المتحدة أفهمت البعض أن إسرائيل أقرب لهم
[illegible]
[illegible]
معروف. فلماذا تعالت حرارة الشحن في الأعوام الأخيرة بالذات ؟

لاحظ بعض المعلقين أن لهجة الغضب التركية بدأت تخف
[illegible]
[illegible]
والدليل أن الدول الغربية لم تحرك ساكنا ضد إسرائيل بينما
[illegible]
عزلة إسرائيل تتزايد برغم أنها تثبت للمرة الألف أنها فوق

العقاب.. جنون القوة يعميها تماما.. ساستها يتصرفون بغباء واضح.. أية جولة في المواقع العربية على الانترنت [illegible] كلام لم نتصور أن يكتبوه عن إسرائيل من قبل. لدرجة أنني حسبت بعض العبارات قد كتبها عرب. إن الحقيقة [illegible] عقود قد [illegible] أخرى ولسوف [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] الجنوب [illegible] ولا [illegible] جديدة أو (عبس مش جدع).

رجل لا يتعب

مقالات هذا الرجل تنهمر علينا من كل صوب بحيث لا يمكن [illegible] والرجل يدرك ذلك.

اسم الرجل هو موريس صادق المحامي الذي يصف نفسه بأنه [illegible]

الجميع حق المواطنة. هنا يأتي رجل كـلاخ موريس يجعل هذه الرسالة شبه مستحيلة. لأنه وهو قابع في واشنطن يرسل رسائل كراهية لا تنقطع يشعر بها الداخل المصري. وعندما تتكلم عن نبذ التعصب يبرر لك احدهم هذه الخطابات ويقول لك: "فلتر كيف يكرهوننا.. فلتر ما يقولونه سرا بعيدا عن عدسات التلفزيون ومكبرات الصوت!"

للاخ موريس آراء عميقة جدا في السياسة والتاريخ صححت لكثير مما كنت أعتقده. ومنها:

1- جماعة الاخوان المسلمين لم يؤسسها حسن البنا وانما وجدت منذ ان غزا العرب مصر واحتلوها

2- عبد ناصر كان من أهم دعاة الخلافة الإسلامية [illegible] 1952 [illegible] الناصر [illegible] لاخوان المسلمين [illegible]

لكني كنت مخطئا كما يبدو. لكن الأجمل لم يأت بعد: "ونهبوا [illegible]

يعيش في أرض الميعاد بعد أن حرروها من الفلسطينيين المسلمين الغزاة لها". إسرائيل مسلمة؟! . هذه معلومة جديدة أخرى.

3- عبد الناصر طرده والده من منزله بعد زوجه من اخرى فحمله عمه وعطف عليه الاقباط فعلموه على نفقتهم

4- في عام 67 اعلن عبد الناصر الحرب على دولة اسرائيل المسالمة وتدفق جيشه من المسيحيين والمسلمين وعبروا قناة السويس باحدث الاسلحة فحطمته اسرائيل في ست ساعات وقتلت مائة ألف. لماذا عبر ناصر القناة عام 67 اذا كان جيشنا يقف على الضفتين ؟! موريس يعرف.

5- اضطر الاقباط الى الدخول في حرب 1973 ضد اسرائيل وبفضلهم وبفضل أمريكا عادت سيناء لمصر.

6- مسجد السيد البدوي كان كنيسة أيام الغزو العربي [illegible] المحتل.

7- من يفكر في إلغاء مولد أبي حصيرة يفعل هذا تمهيدا لالغاء مولد مار جرجس المسيحي!

8- حاول المرحوم أحمد عرابي إقامة دولة الخلافة الإسلامية فضربه الإنجليز و احتلوا مصر وأبعدوا الأقباط.

9- [illegible] طردوا من مصر بعد ثورة 1919

يقول كذلك: "سأدافع عن أهل بلدي المسيحيين العلمانية من أشرار مسلمين يقتلون ويذبحون البشر مثل الخرفان وخاصة بعد صلاة الجمعة" تصور هذا! المسلمون يذبحون البشر خاصة بعد صلاة الجمعة! .. لم يحدث هذا الجمعة الماضية على ما أذكر.

ثم يقول: "إن عدد الأقباط 18 مليونا يواجهون نفس المصادر من الإرهاب الإسلامي الذي يواجهه اليهود الخمسة ملايين داخل إسرائيل". لا بأس.. هل الرجل قال هذا الكلام فعلا؟.. أنا أشك في أن هذه الحديثيات منسوبة إليه ويجب التأكد من أنه قالها. ولو كان كتبها يجب التأكد من أنه يعني ما يقول. لأنه بهذا يفصل أقباط مصر ليضعهم في وعاء واحد مع يهود إسرائيل. ويعتقد أنه بهذا يقدم لهم خدمة!.

هناك الأخت ماريا متخيل التي تقول في مقال بالإنجليزية. "منذ غزو الإسلام مصر والأقباط يعاملون كالكلاب.

تخيل هذا.. ثم تخيل أن من يعاملك هكذا هم أجانب!.. تخيل أن قومك يقتلون ويهانون ويعذبون.. تخيل أن تعامل كالفلاحين peasants من قوم يحتلون وطنك". لا أفهم كيف يعامل الفلاحون، إلا أن كانت الأخت ماريا إقطاعية ممن يضربون الفلاحين بالسياط ويربطونهم في الساقية. ثم هل رأيت قبطيا يعامل كالكلاب من قبل؟. هذه حمحمة تعقد بها رضاء الأمريكيين لا أكثر ولتذهب الدقة والأمانة للجحيم

أذكر واحدا من هؤلاء اسمه [illegible] الجزيرة يتكلم عن الأدب العربي (كذا غير) وعلينا أن نرجع للأدب الفرعوني العظيم!.. هكذا ببساطة قرر أن ما كتبه المتنبي وأبو العلاء المعري وطه حسين و.. و.. كله غير.. فقط لأن ما كتبه بالعربية ولم يكتبه بالديموطيقية للأسف!

مشكلة الأخ موريس إذن ليست مع المتطرفين – وهي مشكلتنا جميعا – ولكنها مع الإسلام نفسه. وهو ينطلق من افتراض ساذج أن أمريكا لا تنام من شدة الوله بالأقباط، وأن الأسطول السادس جاهز للتحرك لو صرخ أحدهم (وا بوشاه!). بينما أمريكا بالفعل لا

يعنيها في منطقة سوى إسرائيل والبترول.. ولو اقتضت مصلحة إسرائيل تعذيب الأقباط لجاء وفد من أعضاء الكونجرس يرأسه السناتور (مش عارف مين) للإشراف على هذا. قضية الأقباط لا قيمة لها عندهم إلا حق التدخل. ولكن يحسن الأمريكان استغلال هذه النقطة كما يستغلون نقطة الديمقراطية. وهم غير جادين في النقطتين. مجرد طريقة للتدخل من حين لآخر.. مسمار جحا يضغطون عليه كلما راق لهم هذا..

ثم هو لا يبالي بأن يشعل النفوس هنا، وأن يتأذى من كلامه [illegible] والخبز بالسمير صباحا. إنه مستريح في واشنطن دي سي ويعتقد أن [illegible] يشعل عالما لن تصل إليه.

[illegible] كل هذا الحقد في خطبته؟.. يمكنك أن تراه يضغط على [illegible] خير دعاية للمسيحية دين المحبة والسلام؟.. أنت لا تكف عن ترك انطباعات سيئة عن المسيحية كالتي يتركها ابن لادن عن الإسلام.

أرى مثل هذه العصبية الدينية المتعصبة لدى آخرين مثل مجدي خليل و شفيق أبو زيد قس [illegible] و لمحاضر بأكسفورد الذي تستضيفه قناة الجزيرة كثيرا.. كلاهما يملك شحنة لا بأس بها من الغل. لكنهما كذلك يقولان كلاما منطقيا أحيانا جديرا بمناقشته.

سألت صديقي القبطي عن رأيه في هذا.. صديقي هذا سليط اللسان ولا يجاملني أبدا، وقد ضحك كثيرا عندما قرأ هذا الكلام وقال:

- "هذا الرجل كالأطفال يتجاهل الحقائق الواضحة كالشمس لمجرد أن يغيظك.. كان الرجل يفقأ عينه ليغيظك"

ثم أضاف كلمة لن أنساها:

- "عندما يذهب مهندس الكمبيوتر اليهودي (ديفيد كاوفمان) [illegible] فيأتي شديد الغباء.. النتيجة هي أن الأمريكان يفهمون جيدا تفاهة ما يقول. لكنهم يحسنون استغلاله"

لا تتوقع أبدا أن يرحل المسلمون عن مصر يا عم موريس

ويعودوا لجزيرة العربية [illegible]

مصر.. إذن فسنتعايش كما كنا دوما .

على كل حال واضح أن أقباط المهجر لا يهيمون به حبا –

وهذا أراحني كثيرا – إذ صرح مايكل منير رئيس هيئة أقباط

مهجر. "لقد أصدرت البيان بالتبرؤ من مجموعة موريس صادق بعد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على موريس صدق لو لم يكن قد كتب هذا الكلام أن يعلن أن

[illegible]

[illegible]

لخاص.

حسب الهوية

اتذكر راجعا القصة التي حكاها لي أحد المصريين عن صديق

[illegible]

[illegible]

مجموعة من الشباب الملثمين المدججين بالسلاح.. راحوا يدرسون

[illegible]

[illegible]

يتركونه ينصرف. وهذا يأخذونه على جنب إلى جوار الجدار

[illegible]

[illegible]

هي الإجابة الصحيحة؟.. ما هي الإجابة الصحيحة؟.. بسرعة!..

هل الصواب أن يكون مسلماً في هذه اللحظات أم مسيحياً؟.. لم يعرف صاحبنا الإجابة لأن دوره جاء.. وعندما وقف وسط الجثث المذبوحة لمن سبقوه. وعندما طلبوا منه أوراقه ظهرت دورية من الشرطة، ففر المعتدون ونجا بمعجزة شبه سينمائية.. عاد المصري [illegible] حافة الإصابة يحملق في الجدار ولا يتكلم. لقد احترق جهازه العصبي ولا تثريب عليه..

من انتصر في حرب لبنان ومن الذي فرض كلمته بعد كل هذه [illegible] لا أحد يعرف. ما أعرفه يقيناً هو أنهم يحلمون بهذا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في موقف حرج [illegible]

[illegible]

يكرهوننا!"

اعتقدت أن أقول إن معاملة المسيحيين في مصر غير متوازنة، [illegible]

[illegible]

يشعر به عندما يسمع الشتائم تنهال على دينه من زاوية جوار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وفي الوقت ذاته تأييد كامل للنظام وفكرة التوريث..

[illegible] الشارع المصري [illegible]

[illegible] يتكلم

[illegible]

كل ما فعلوه هو أن صرح أحدهم: "لقد تم غسل مخها ونحن نغسل مخها المغسول!.." .. هل هذا كلام؟!.. لا غرابة في كون العنف في [illegible]

[illegible] عليه، مع قدر لا بأس به من الشتائم. كمية عنف لا توصف..

[illegible]

لنتكلم. ولسوف يحسم الأمر.. هذا لو كان ما تقوله صادقا فعلا

زاد الطين بلة مع تصريحات الأنبا بشوي الأخيرة في (المصرى اليوم). لقد اعتدت سماع هذه الأشياء من موريس صادق وسواه من أقباط المهجر، حتى صرت أشعر بقلق لو مر أسبوع ولم أسمعها. لكن الكلام هذه المرة يأتي من ثاني أهم سلطة مسيحية في مصر.. الرجل الذي يعرف جيدا ما يقول ويعنيه حرفيا.. لقد سقط هذا الكلام متلقين، فتمن ما وقعه على نجار المسلح وسمكري السيارات والخباز..

اكتشفت أشياء مثيرة فعلا من هذا الكلام . أنا ضيف على مصر وأبي ضيف. وجد جد جدي كان ضيفا.. بل الرئيس مبارك نفسه ضيف.. صحيح أن المسيحيين يمثلون 6٪ من تعداد السكان – حسب إحصاء أجراه مسيحي – فنحن المسلمين ما زلنا ضيوفا منذ 1400 سنة!.. حتى أهل البلاد الذين أسلموا صاروا ضيوفا فجأة!

[illegible] ريوس وأبوللو من بعدهم.. ؟

الأنبا بشوي يكرر نفس فكرة أقباط المهجر عن الغزاة العرب الذين جاءوا ليستولوا بالسيف على البلاد من أهلها.. بصراحة لا

[illegible]

جزءا من تركيب هذا البلد ولا يمكن أن يخرج منه أبدا..

لو صارت مصر كلها مسيحية ورحل المسلمون الضيوف كلهم [illegible]

[illegible] على هذا [illegible]

– تجعل من المستحيل أن تدافع عن المسيحيين. فكيف أدافع عمن يعتبرني ضيفا ؟

جاء البارود الذي يبقى على النار من حوار احمد منصور مع المفكر الاسلامي محمد سليم العوا في قناة الجزيرة. العوا مفكر محترم وكلامه يوزن بالميكروجرام ولا يخرج إلا بسبب . شاهدت ذات مرة احمد منصور على حوار أجراه مع عالم امريكي مشكوك في مصداقيته يمجد امبراطورية الخنازير، وقلت إن كل ما يريده هو تقديم حلقة مثيرة، لكن الحلقة هذه المرة تستمد اهميتها من ضيفها الذي يعرف الجميع تاريخه. إن لكلامه ذات ثقل وأهمية كلام الأنبا بيشوي. بكلمات واضحة قال العوا إن هناك سفينة تم ضبطها من مباحث أمن الدولة قادمة من إسرائيل وعليها أسلحة ومتفجرات، ويعود ملكيتها لنجل وكيل مطرانية بورسعيد. وقال إن السلاح يخزن في أديرة الصحراء. لقد صارت الامور معقدة ولم يعد الكلام عن الإسلاميين المتطرفين الذين يقتلون المسيحيين العزل واردا. [illegible]

والكل يحفظ ما قيل فيها على كل حال.

لأن صارت الأمور خطرة فعلا. والنفوس مشحونة بحق وأنا
عني ما أقول..

على الدولة أن تكف عن هذا الصمت والخوف من وعلى مشاعر
و شطط وأعضاء الكونجرس. وأن تخبرنا فعلا بما تعرف. كرر
هيكل مرارا أن لرئيس الجمهورية في مصر مهمتين يجب أن يستعمل
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تعني، وأسباب الغليان متعددة لكن هذا أخطرها

على الكنيسة أن تعي هذا الكلام بوضوح وأن تقاضي العوا..
[illegible]
[illegible]
بعد، عند أول كمين إعدام حسب الهوية نقابله..

نريد حلا

عندما كتبت عن (الداعية الشاب) لمتابق لدي هو تكرار
[illegible]
[illegible]
[illegible]
صدمتهم بالكلام دعاة آخرون لا داعي لذكر أسمائهم.

مجتمعنا اليوم تواجه مشكلة كبرى في كلام من لا يعرف
[illegible]
[illegible]
[illegible]
رجل مقتله لو نزلت إلى الشارع الآن، لكن عمرو خالد لم يزعم قط

أنه أستاذ شريعة أو إنه يجيد الإفتاء.. فقط هو يجمع الشباب حول
[illegible]
العدل وقيم العمل وقيم السماحة.. عندما أجد الشباب على شبكة
الإنترنت يتناقلون محاضراته أقول لنفسي إن قسطا لا بأس به من
هؤلاء كان سيقضي ذات الوقت في تدخين البانجو وتعاطي البرشام..
لقد نجح الرجل سواء قبلت ذلك أم لم تقبله. النتيجة الحتمية لهذه
الشعبية بين الشباب هي أن يحارب.. كل من يجذب الشباب
[illegible]
سقراط على شرب سم الشوكران حتى اليوم.. لعلك من الجرب
[illegible]
برمجته (على خطى الشيطان).. الخ..

منذ البداية أؤكد أنني لم أدرس الشريعة وغير متخصص،
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الثالث من عمرها عبر البريد الإلكتروني.. لم أتدخل فيه إلا ببعض

[illegible]
[illegible]
خلاص ؟

تقول القارئة: "أنا فتاة محجبة تسلمت العمل في شركة من
وقت قريب. وأنا من أسرة متدينة محافظة. لكن بصراحة يا سيدي
بدأت أقرأ أشياء غريبة لم أسمع بها من قبل مثل أنه على أن المرأة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
صحيح. ثم قرأت أن الصحابة كانوا يتبركون بشرب بول الرسول
[illegible]
أعطسها واشرب الشاي. و قرأت أن شرب بول الإبل يشفي أمراض
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الإسلام وهم يخفونها عنا طول هذه السنين أي هو دين يخفون عن

اشياء فيه. حرام عليهم وبه العظيم هو خلاص يعني كل حاجة في الدين تم [illegible] عشان يطلعوا الكلام ده ؟ لو صح تبقى مصيبه ولو مش صح بيقولو كده ليه ؟

"أرجو أن تساعدني لأني حيرانة وحاسة اني بأراجع كل شئ في حيتي من جديد."

[illegible] بتبني خطب القرينة، ولن اعلق او أبدي أيه آراء.. أما غير [illegible]

الموقف أن يتصرفوا هم.. لقد اهتز إيمان هذه [illegible] البريئة وشكت في كل [illegible]

وسارتر ونيتشه وشوبنهاور معا، فعليكم أن تساعدوها.. أنا بصراحة لا أستطيع.

فقط أرجو ألا تتعاملوا معها بطريقة: احنا كده واللي مش عاجبه الباب يفوت جمل..

أذكر ما قاله صديق لي عن أبيه المستشار شديد التدين الذي توفاه الله منذ عشر سنوات: "لقد عاش أبي ومات دون أن يسمع عن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أسأل بأمانة. ولا أقصد أية تلميحات فأنا فعلا أبغي المعرفة.

هل هذا الذي تقومون به مفيد للإسلام حقا؟.. من الأكثر فائدة؟..

[illegible]

دخيلا؟.. أم ما تقولونه؟.. هل أنتم حريصون على الدين فعلا أم على رضا المصادر البترو دولارية. وعلى الظهور في الفضائيات، وعلى اثارة فرقعات إعلامية مضمونة الدوي ؟

هل يهتم أحدكم بالبلبلة التي يحدثها في أذهان الشباب؟..

[illegible]

بهذا.. سوف تخربون قدر ما تستطيعون ثم تتركون الاطيان والعمارات للورثة، وتتركون الشباب لرب كريم يتولاهم..

حتى لو كان عمرو خالد غير متخصص، فهل نجا منكم علماء

[illegible] (الشعراوي) يرحمه الله. وماذا تكتبون وتقولون عن العلامة القرضاوي أطال الله في عمره؟

سوف تبحث الفتاة عن الحقيقة في المنتديات السلفية وسوف
[illegible]
علماء الأزهر أنفسهم الذين ترى معظم هذه المواقع أنه لا قيمة
لرأيهم، مع رغبة في التميز والتحدي بإطلاق كل ما هو غريب أو غير
شائع، واحتكار كامل للحق في الكلام.

أذكر أن أحد تلك المواقع كان يعقد مناظرة حول كتاب (
الخلافات السياسية بين الصحابة)، لمحمد المختار الشنقيطي.
[illegible]
[illegible]
وضعه صاحبه على رابط ليدخله من يرغب. هنا قام مشرف الموقع
بحذف الرابط وكتب بالحرف الواحد: "ما دخل نشر الكتاب
بالمناظرة؟! المناظرة تقوم على ردك على خصومك كل فقرة بمثلها. أما
وضع الكتاب فلا علاقة له بالمناظرة". وقال مشرف آخر في حزم: "
وضع رابط للكتاب الآن ليس بجيد ولا فائدة منه لأن القصد من
المناظرة التحذير من هذا الكتاب"!.. إذن لماذا المناظرة أصلا والحكم
قد صدر منذ البداية؟.. لماذا لا يكتفون بنشر عريضة إدانة؟

من جديد أكرر أنني أطلب النصح ولا أقدمه.. لو كنتم
تحدثون الإسلام فعلا بكل هذا، فأنا أعتذر لكم بشدة، واعتبروا كأن
[illegible] 104
من سورة الكهف والتي لن أكتبها تفاديا للأخطاء المطبعية.

في غير حالة الخطر

منذ أسابيع تعطل مترو المرج حلوان في محطة طرة البلد لأن مواطنا [illegible] انسق على قدم زوجته الحامل – زوجة الرجل لا المترو طبعا – وبدأ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فلتأخذنا مصيبة إذن. كل هذا جميل ومفهوم

أتكلم طبعا باعتبار أن الخبر صحيح ونقل بأمانة. أحيانا يتم نقل الخبر بطريقة تريد الصين بلة. وإنني لأتذكر خبرا نشر منذ [illegible] تكوين تنظيم سري، فقال المحرر لا فض فوه بالحرف: "بالقبض على الرجلين تبين أنهما يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر. وتم تحويلهما للنيابة!". لو كنت مسئولا حكوميا لحولت المحرر العبقري للتحقيق لأنه أساء للنظام أكثر من ألف جريدة معارضة.

نفترض إذن أن الخبر صحيح.. لكن السؤال الحقيقي هنا هو: [illegible] ولم تجرؤ على نزعها؟

تعال نقرأ معا أجزاء من خطاب كتبه لي أ.ح طالب الهندسة [illegible] يوم الاثنين الموافق 30 نوفمبر 2009، [illegible] ثلاثة من أصدقائي لنستقل الترام من محطة الإبراهيمية للذهاب إلى سان

ستيفانو، واستقلت العربة رقم 221 خط رقم واحد (باكوس) نحو الساعة التاسعة مساء

"وبمجرد ركوبنا للترام لاحظت وجود نحو 20 شابا تتراوح أعمارهم بين 14 و19 سنة من الذين لا يظهرون سوى في المواسم والأعياد ولا يفعلون أي شيء سوى قلقلة الأمن العام. يقومون باستمرار بقذف زجاج السيارات المركونة أو السائرة بالقرب من الترام بالحجارة متوسطة الحجم، وقاموا بكسر وتدمير زجاج ما يزيد على 15 سيارة، ولم يحرك أحد ساكنا من ركاب العربة أو الكمساري الذي يظهر على وجهه الجبن الشديد والذي كان مسئولا عن العربة، ولم يحاول أحد منا أنا أو أصدقائي الاحتكاك بهم بسبب عددهم واحتمال وجود سلاح معهم

لكن اختلف الأمر عندما وجدنا أن بحوزتهم ألواح كبيرة من الخشب، يقومون بضرب المارة السائرين إلى جانب الترام بها من شبابيك وأبواب الترام أثناء سيرها، وقاموا بضرب الكثير من الناس بعنف، ومن ضمنهم كانت إمرأة تسير قرب الترام وتحمل طفلها على يديها!!

إتجهت إلى الكمساري بعينة وسألته عن رقم العربة التي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بالشرطة!! كأننا فتحنا أبواب الجحيم. أخذوا يضربون بألواح [illegible]

[illegible]

[illegible]

بالحجارة أكثر من مرة لولا العناية الإلهية!!

ثم وقفوا جميعا أمام الترام ومنعوا عن التحرك إلا إذا نزلت [illegible]

[illegible]

بعض ذلك فيهم "سيقومون بتكسير عربته تماما!"

فنزل ونُقس ولا يهمه سوى عربته!! وعندما رفضنا النزول حاول خداعنا بقوله أنه يريد منا أن ننزل لكي نركب معه في مقصورته خلفية ..، ونحن نعلم جيدا أنه لا يريد سوى التخلص منا ليهرب بالترام ويكمل طريقه

"صرخ فيه جميع من بالعربة حينها أن يتركها وشأنها [illegible] للنجدة، رد عليّ شخص ما لا أعلم ان كان ظابط المهم أم انه يدّعي [illegible] من 5 مرات وهو يعيد نفس أسئلته أكثر من مرة. فاضطررت لإنهاء المكالمة أخيرا بدأت العربة بالتحرك. بعد إنصرافهم وتحرك الترام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تحدث سوى في الأعياد والمواسم فقط ولا تستدعي الإهتمام نهائيا!!

فقلت له ولماذا لا تحاول إبلاغ الشرطة؟ قال لي "يابني الشرطة في أجازة كلهم دلوقتي، انت لو كلمتهم حد إهتم؟؟ انا بقالي خمسة وعشرين سنة شغال على الخط ده وكل مرة بتحصل الحاجات دي ولا حد بيهتم، وانا مليش دعوة بالناس دي انا عندي عيال!!"

هذا هو ما حدث معنا في الإسكندرية في مصر، وليس في السودان، فهل سيهتم بنا احد؟؟ أم أن الاهتمام كان من نصيب مطربينا وأعضاء الحزب الوطني الذين اهينوا في السودان بينما نحن في الاصل لم يكن لنا أي قيمة داخل بلدنا؟"

لظاهرة العيد المعروفة. والسلوك الجماعي العدواني الخارج على القيود. وربما المخدرات كذلك.. كل هذا لا تراه الحكومة خطرا .

يوم 21 نوفمبر يحاول عامل بشركة أتوبيس غرب الدلتا الانتحار بالوثب من فوق برج سموحة، لأنه يتقاضى 170 جنيها بعد 13 عاما من العمل، ولم تتحمل كبرياؤه ان يعجز عن شراء كيلو لحم لأسرته في عيد الأضحى. لم يتراجع إلا بعد وصول المحافظ لسماع شكواه. هذا الحظ الحسن لم يستمر حتى يوم 3 ديسمبر،

حيث نعرف من الصحف أن ثلاثة شبان انتحروا في يوم واحد بسبب الفقر. الأول عامل من دكرنس تزوج ولم يستطع أن يجد عملا أو يستقل عن أسرته. وهكذا دخلت زوجته لتجده معلقا بحبل. عاطل آخر ألقى بنفسه من الطابق الرابع في كفر الشيخ.. السبب ببساطة أن دخله 400 جنيه يدفع منها 300 ايجارا لشقته. وفي الشرقية يقتل شاب ثالث – اكبر أخوته – [illegible] نفسه لأن خطبته مهددة بالفسخ بعد فشله في العثور على شقة

كل هذا ليس خطرا. الأمور تحت السيطرة. ومن بعض الأمور [illegible]

بسبب اللودر.. لا.. لم تقف امام اللودر محاولة منعه من هدم منازل الفلسطينيين على طريقة الامريكية (راشيل كوري). لكن اللودر اقتحم بيتها بلا انذار وهدم البيت على راسها. وهو بهذا يبرهن على أن المصريين أشد كفاءة وحزما من الإسرائيليين (الحرفيين) الذين يهددون بالهدم اولا

إذن ما هو الخطر بالضبط ؟... وما الذي يجعل الدولة تهب في حزم لتهوي بقبضتها؟.. أن أسأل بأمانة لأنني مواطن صالح اكره

أن أزعج الدولة لسبب تافه. هل الخطر هو مائة شاب نحيل بضفيرة يقفون على سلالم نقابة الصحفيين ؟ أم هو البرادعي أم ماذا بالضبط؟

زكاب سوارس

سوارس كانت حافلة بلا محرك يجرها حصان في شوارع

[illegible]

[illegible]

على الألسنة بمعنى (زال عهدها). هناك لعب العظيم (سيرة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وان طالت السكة يحكي لبعضنا حواديت

محشك يوم الحسين أشرب هناك حروب

حدث تعدي بين جدع عايق وبين كركوب

وشمه في الوش قعدة وامها اتسدت

سعوي زي اللي راكبه سمعيت عفريت

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الشيء كي لا يسمع جعجعات الناس وعتبهم.. فقط من حين لآخر يعلن أنه غير مسئول عن شيء مما يحدث. هنا بدأت دراما إنسانية شديدة لروعة عدت المعدة لدخي على الفور.. هنا تعار أصدقائي من يعرض أنه فخر. ونحو تمنين عمت نعجلنا عن قصيدة بيرم لكن لنشر هم بشر

أحد المعنيين بمواطن الأمور قال في غموض أن (رمسيس مطلوب برضه وفيه محاضرات). ثم ذلك الشاب ذو الشعر الطويل والكوفية الذي ذكر ألف مرة لألف واحد أنه مخرج. يضرب كما يكشف ويعلن أن هذا سيعطل عمله الإعلامي المهم. آخر مرة سمعته فيها كان يحكي أنه مخرج لعدة أسابيعه.. يقول أنه يحب أن يقدم برنامجا عن هذا الموضوع..

أصابت زميلاتي كن ذاهبات للامتحان في حالة هستيرية يبكين بلا توقف.. أرجوكم لابد من عمل شيء.. اقترحت على واحدة منهن أن يطلبن شرطة النجدة. هذا هو الحل الوحيد الممكن لأن الموضوع قد يطول.. بعلم بمواطن الأمور يؤكد أنه سيستمر حتى العاشرة مساء.

الفتاة ذات الماكياج الصارخ والجينز الضيق والحجاب المزركش المليء بالترتر تنهض من مقعدها في حالة هستيرية

[illegible]

لا أتعب نفسي في فهم سبب غضب أبيه بدرجة لحرق من اخترقوا عمال البلوكات. لكن ذلك الرجل سيظهر بالصورة والنظارة السوداء يدنو ليحسس جوارها ويشرح لي في وقار وحكمة سياسة البلد وما ينبغي أن يكون. ثم يعلن نظريته المفيدة التي تؤكد أن عمال البلوكات عملاء من الغرب لتدمير الإسلام

هنا أتذكر بيرم التونسي من جديد.

يا حلو لمه الولد سرك بك وعمد

والولد عرق لشربته في غصص وسخط

الحلوة قالت لأمه: يا حلي ابنك شاط

قالت: عبيرسي التدري له الأفندي كديف

قال الأفندي: هاهي ابنك ده طالع بك

والحلوة قالت: شيء شيء والديك بالنبض شريك

البعض يبدأ بتسلق عربة القطار نزولا ليبحث عن مواصلة أخرى . بينما السيدة العجوز الوقور تجلس في مقعدها وتبتسم في استسلام مع رضي بالقضاء . هي لن تذهب لأي مكان وسوف تبقى في [illegible]
الذي لن يتركها لأنه قدره

الرجل الغامض يحكي للسيدة قصة عندما أرسلته المخابرات المصرية لفرنسا كي يقابل أحد عملاء الموساد . والفتاة تصغي في رعب ثم يقول له: "زفت بمواريرو!"

يمسك زجاجة ماء ويلوح بها في خطورة امام عينيها [illegible] ويقول:

- "بيقولوا كلام مش عارفة معناه . عارفة يعني ايه مواريرو؟ . دي مثلا قارورة . فهمة عاوز اقول ايه؟ . دي قارورة.."

- يوه قبوية.. لكن بيعمله معاها ايه ؟

يخلع نظارته ويفرك عينيه مفضلا الا يتكلم اكثر.. اسرار مخابرات هذه لا يفهمها الجميع . المخرج يؤكد للجميع انه أن تجربته مع (فاتن حمامة) في التصوير مجنونة لان وجهها لا يعكس

النور بما يكفي.. مش كل وش بيقع بيتصور يا حسني . دي حاجات تتعب احنا .

الان قررت العجوز ان تنزل من القطار . افقد صبر.. ينهض الرجل الغامض ليساعدها على الوثب بيده برقة، ثم يقفز بعده لسرحل معه ليوقف لهم مواصلة الى القاهرة لانها على بعد ثلاثة كيلومترات من اقرب مدينة.. هنا يتذكر بيرم التونسي .

الحلوه ساوت هدومها يعني ان داريه

لعمدي بالتل سوى البلطو والبدله

هنا بدأ ركاب القطار الآخرون يتذمرون . فيقول بيرم التونسي

كان في الجماعه جدع أحمق نطق في الحال

[illegible] يا عجوز.. معلوم [illegible]

عرب ولاد ... مش كده . بريالة ... حتى ولاد

... يا ... يا دور يا عد يد!

... العجوز ... حتى الحلو ...

... !

... في اللي جيلك ... واسع

... أو ... ؟

هذا ما حدث حرفيا تقريبا . وقفت أنا عارفا في خواطري وبعد صوت الشخير ... من حق عمال السلوكات أن يطالبوا بوجبة فقط. ولكن ما ذنب الزهرات الصغيرات المذعورات اللاتي وقفن باكيات ينوحن لأي سيارة متجهة للقاهرة؟ . ما ذنب السيدة العجوز أبوفور التي لن تستطيع أبدا النزول من القطار حتى لو ظل واقفا إلى يوم الدين؟ . كل المواعيد التي ضاعت والتذاكر التي أهدرت في الوقت ذاته ما ذنب العمال الذين لا يجدون ما يكفي لإطعام أطفالهم ومواجهة حياة صارت عسيرة على الجميع؟ شعور محير فعلا.. لابد أن تجد من ضحايا ولابد من خاسرين على كل الجبهات

باستثناء هذا الأخ العامل خبير القوارير..

لم تطل الانتظار ساعتين توكلت على الله ووثبت بلا رشاقة من القطار، وساعدت السيدة أبوفور على النزول وهنا وجدت منظرا مذهلا. عربات الشرطة تصرفت بكفاءة مذهولة. فسدت الطريق السريع بالعرض بامتداد عشر لتكون هناك مساحة خالية تسمح بعبور عمال من ركاب القطار إلى الطريق السريع، وهناك وقف رجال المرور يوقفون سيارات الميكروباص المتجهة للقاهرة لتستقبل . السيارات التي اكتشف سائقوها كنز ينتظر هناك جوار قضبان القطار . وسرعان ما كان الميكروباص ينطلق بسرعة محمومة نحو موقف عبود حيث يجب أن تجد مواصلة أخرى لرمسيس.

الخلاصة التي توصلت لها هي أن الإضراب ليس قرارا سهلا، وأن الناس ثرثارون، وأنني لا أجذب الشيب لأن شكلي مرعب، وأن يوم الدنيا عبقري حقيقي . ومن جديد تذكرت نهاية القصيدة

نزلوا الجمع الحسين ونزلت أنا سكت

نزلت لوحدي ولا صيده ولا ...

القسم الثاني

وفيه حديث عن توحش الإعلام

وتأثير ذلك على عقول الأنام

رحل واحد أخير

عندما سافرت – منذ أعوام – للعمل في المملكة العربية السعودية، كان عملي في بلدة صغيرة اسمها (الدوادمي). وقبل السفر رحت أسأل عنها، فكانت شهادات المصريين الذين يعرفونها جيدا كما يلي: " الدوادمي صحراء مترامية.. خذ معك الكثير من الطعام لأنك لن تجد ما تأكله لعدة أشهر.. الماء غير مأمون ويحفظ في براميل صدئة . عامة يجب أن تضع أرجل السرير ليلا في أربعة أوعية مليئة بالماء لتجنب العقارب فهي كثيرة . . لا تفتح الباب مباشرة لأن العواصف الرملية تقذف بالعقرب خلف الباب، ولأن الذئاب تجيد طرق الأبواب". واحد فقط قال لي إنها بلدة متحضرة وحديثة. ذهبت إلى هناك شاعرا بما شعر به (رولند هدسن) وهو يستكشف الغيب

الجنوبي. متأكدا أنني لن أرى أسرتي ثانية. فكانت المفاجأة أن أرى بلدة نظيفة جميلة جدا تذكرك بالمعادي نوعا، فيها عدة مطاعم ومتنزهات وأكثر من مركز تسوق ومستشفى كبير وأكثر من إنترنت كافيه. كان هذا أول درس اتلقاه عن أن الناس تتكلم ببراعة وافراط. بلدات في المواضيع التي لا تعرف عنها اي شيء على الإطلاق. و لسوف أموت وأنا أومن ان مقولة (من قال لا ادري فقد افتى) من أروع ما سمعت في حياتي.

قال (ديوجين) يفتش بالمصباح عن رجل واحد امين. وواضح أنه لم يجده. وها نحن اولاء نبحث عن رجل واحد امين ينقل لنا الاشياء كما هي أو يعترف بأنه لا يعرف فلا نجده. وهنا تقابلنا مشكلة اخرى هي ازدهار الإعلام بحيث تجد المعلومات الخاطئة أو لم تعد فرصة نادرة للانتشار

الحقيقة هي أن الاعلام قد توحش وصار كالمحيط الثائر الذي لا يمكن الإمساك به أو حبسه. هذه المقولة سوف تستقر كل من يوم بتدفق المعلومات. نحن اليوم نعيش ثورة اعلامية غير مسبوقة. سواء على مستوى الصحف او الفضائيات التي لا تهمد أبدا أو طوفان

المعلومات العادم عبر شبكة الإنترنت. دعك من أن كل من يملك مدونة على الإنترنت صارت لديه جريدة خاصة يبث فيها آراءه والصحيحة؟.. نحن بالفعل لم نعد واثقين من أي شيء على الاطلاق. في مقال نشر بالمصري اليوم يوم 5 اكتوبر 2009. يقول الإعلامي الكبير (حمدي قنديل) إن قصة القراصنة الصوماليين كلها اكذوبة. القراصنة الحقيقيون هم مصريون قاموا بأسر بعض الصيادين الصوماليين الابرياء. ويقول: "الواقع ان هذا التصلب قد تم عن عمد او عن غفلة، ضمن خطة غريبة للسيطرة على مداخل البحر الاحمر وبحر العرب واحتلال الصومال ذاته اثر انهيار دولته وتفشي الفوضى وتقدم الحركات الإسلامية المسلحة .   .. القرصنة اذن ليسوا هؤلاء الذين احتجزوا السفينتين المصريتين خمسة أشهر متواصلة منذ شهر مارس الماضي وعاد بهم بحارتها مؤخرا، ولكن هم بحارة هاتين السفينتين الاربعون الذين سعدنا باستقبال الابطال وحشوا صفحات جرائدنا وشاشات إرسال قنواتنا الفضائية بأكاذيب عن مغامرتهم   . فقد أصبح القراصنة المصريون اكثر القراصنة شهرة في مياه الدول الافريقية، سواء تلك المطلة على بحر

العرب والمحيط الهندي شرق القارة أو المطلة على البحر الأبيض
المتوسط

هذا يعني بمساعدة الرفة التي استقبلنا بها بحارتنا. وفي
المستندات التي تقول (عملوق الدمياطة) وهي سماني التي انهالت
عليهم صدرت عن شخص مخدوعين

(حمدي قنديل) إعلامي كبير ويعرف ما يتكلم عنه، وهكذا
يمكن معرفة الطرف الذي قال ما لا يعلم. الصحف التي هللت
لانتصار الصيادين المصريين الجدعان ضعف.

فسنترك هذا الموضوع إذن ونتكلم عن حرب أكتوبر التي نحتفل
بها هذه الأيام. لقد نشأت على أنها نصر عظيم حطم أسطورة الجيش
الذي لا يقهر، وفتح الباب لاسترداد سيناء. وهذا ما تعلمته جيلًا
واستمر الأمر. لكن الإعلام لن يتركك تعتقد هذا. عشرات المقالات
تؤكد أن خسائرنا أكبر بكثير من خسائر الإسرائيليين. والجيش
الثالث كان محاصرا تحت رحمة الإسرائيليين بالكامل. ولم نسترجع
سوى شريط أرض ضيق، وسيناء عادت كاملة لكن بموجب معاهدة السلام
الدولية ولم تعد لنا على كل حال هذا جدل طويل معقد قد يمتنه

باعتبار أن من حق الناس أن تعرف كل شيء، ولكن لماذا لا تتكون
لجنة مدققة تدرس كل شيء وتجري تحقيقًا، ثم تجمع شهادتها
النهائية بدلًا من أن يؤلف كل واحد في مصر كتابًا عن رؤيته في
الحرب؟

وماذا عن عبد الناصر؟.. في أحد كتب (شهود العيان) يؤكد
المؤلف أن عبد الناصر كان يقول وهو نائم قبل الثورة: "سوف أصير
ملك مصر". فمتى وكيف تمكن الشاهد من دخول غرفة نومه؟.
ويؤكد كذلك: "من المعروف أن عبد الناصر هو من حرق القاهرة".
لماذا ومتى صار هذا معروفًا؟. حاولت تخيل عبد الناصر يحمل مشعلًا
وجركن كيروسين ويجري في الشوارع فلم أفلح..

أما عن السادات فالكلام عنه كثير.. هناك سادات متهور
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بينما القتال دائر، ويسلم كل شيء لبيجين... هذا السادات الذي
اصطلح على أنه (سادات هيكل) وربما سادات الشاذلي ومحمد

إبراهيم كمن كذلك. وهناك سادات آخر عبقري شديد التدين، تعلّق سياسي ينسب له كل شيء حتى انهيار الاتحاد السوفيتي الذي لم تتوقعه مخابرات مركزية نفسها. وهو الذي استعاد سيناء بينما عجز العرب كلهم عن استعادة ملليمتر واحد من أرضهم. هذا السادات أصبح على تسمية (سادات موسى صبري) ولعله سادات إبراهيم سعده كذلك.

(رفعت الجمال) ضربة قوية وجهتها المخابرات المصرية لإسرائيل وهو بطل قومي..

(رفعت الجمال) ضربة قوية وجهتها المخابرات الإسرائيلية لمصر

هيكل واحد ممن يعرفون ما يتكلمون عنه وهو يؤكد في ثقة أن مصر لم يكن لها أي جاسوس ذي أهمية في إسرائيل وقت حرب 1967، وكل ما قيل خيال روائيين، وجمعة الشوان يؤكد أنه كان متزوجاً من سعاد حسني، مما يدفعك للشك في بعض ما يحكيه من قصص.

حتى الشهادة في أمور رآها حشد من الناس لا يمكنك فهم

شيء منها: فتاة العتبة لم تمت. فتاة العتبة تم اغتصابها وسط الميدان وفي الزحام دون أن يتدخل أحد. المحاسب المتزوج رب الأسرة الذي قبض عليه وعثر على غلاف أكثر من جريدة محروق ينزف الدم من أنفه وثيابه الذهبية، أفرجت عنه المحكمة بعد هذا لأنه لم يفعل شيئاً. ولأننا لم نفهم ما حدث بالضبط بسبب تضارب الروايات.

* *

فنان كاريكاتور خليجي – لن أذكر اسمه لأن هذا ليس موضوعنا - ضُبط متلبساً بسرقة رسومه من المجلات الغربية. ليس اقتباساً وليس تأثراً بل هو نقل مسطرة. مع فارق بسيط في المعالجة الجرافيكية طبعاً بشكل ينم عن براعته. قام أحد المدونين المتحمسين للحقيقة بوضع رسوم الفنان ملاصقة للمصادر التي سرق منها. مع ذكر التاريخ والمصدر الذي يؤكد من أخذ ممن. أدلة واضحة وصارخة لا تحتاج إلى تعليق. هكذا انهمرت الشتائم والاتهامات.. على من؟.. على مكتشف السرقة طبعاً! فهو مسطول تارة.. وهو شاذ تارة أخرى.. وهو يتعاطى المخدرات.. وهو عبد للغرب.. وهو لعق الرسوم

لغريبة بنفسه ليبهم نفس في غرفة وانهى أحدهم الصفحة صارخ مشجعا الرسام نفس: "الى الامام يا (....) ، لانك تسير في المقدمة فدول تصدف ترحب بالحجارة!! ".

مدرسة (الحق على الطلول) مدرسة عربية معروفة. لكني لم أتوقع أن تصل الامور لهذا الحد في أمر واضح كالشمس. لقد لجئوا الى الكثير من الحرج ليخفوا الحقيقة. والنتيجة أن من يقرأ الصفحة يجد مجموعة من الشتائم ضد الدول ولا يفهم الموضوع اصلا. ومثل هذا كثير في برنامج (الاتجاه المعاكس) الذي يقدم على قناة الجزيرة، حيث ينفجر الطرفان في الصراخ قبل أن تبدأ الحلقة. فلا تسمع حرفا، وتتطاير الاتهامات في شقتين، بينما المذيع (فيصل القاسم) يصرخ في الوسط صارخا: "يا رجل!.. يا رجل!! ستعطيني المجال"، وينتهي الحلقة دون أن نعرف شيئا يتجاوز ما كنا نعرفه قبل بدء الحلقة.

رجل واحد امين.. سوف يرجع الشيب على رأسك دون أن تلقاه.. لا تنظر مرآتك فهو ليس هناك.. صدقني...

مثال آخر قوي وخطير جدا هو حملة التشكيك في لقاح انفلونزا الخنازير قبل أن يعرف صانعه نفسه اثاره الجانبية، الى

حد أن اللقاح لن يجد من يأخذه بالتأكيد. ومن جديد نرى على صفحات [illegible]

وهنا يمارس الاعلام لعبة حجب تفاصيل معينة.. فنحن مثلا لم نعرف ان الصيف طبيب أسنان ولا علاقة له بالاوبئة. وبه كتب مليئة بالخزعبلات ونظرية المؤامرة.. هكذا تم حجب جزء من الحقيقة لتحقيق غاية معينة هي البحث عن خبر مثير مهما كان الثمن المهني لذلك. وهو عبث خطير لو فكرت في الامر، لأنه يعني ان ملايين الناس لن يأخذوا اللقاح.. وهذا قد يعني وفاتهم لو توحش الفيروس اكثر. اليوم وجد العلم اللقاح لكن احدا لن يحصل عليه بسبب العبث في الإعلام وبسبب ثقافة (الموروث) هذه. والاصوات عالية جدا بينما صوت منظمة الصحة العالمية بتقييمها خصيص عقلاني، وهكذا حسمت المعركة في عالم لا ينتصر فيه الا الاعلى صوتا. وما من رجل واحد امين.

كما قلت، هناك تدفق شديد للمعلومات ونقيضها، وهو تدفق لا نعرف [illegible] لا يعطي فرصة [illegible] واسهم [illegible] الجميع تقريبا يكذبون.. يكذبون بوجه صلب وأعصاب باردة

والنتيجة هي أن المرء يزداد جهلا كلما عرف أكثر. بعض القضايا التي تثيرها الصحف وتحدث خلافات، هي في الحقيقة تجمعه خلافات بين رجال الأعمال، والعاملون في كواليس الصحافة يعرفون هذا جيدا. أما رجل الشارع فيجري وراء عواصفه والأعلى صوتا..

قد تقول لي إن اللون الأسود أو الأبيض لا وجود لهما، وإن كل الأشياء رمادية، لكن هناك أمورا لا تقبل الجدل: هل فلان رجل وطني مخلص أم هو عميل

كنت أتكلم في جلسة خاصة عن أحد الوزراء السابقين الذي يعرف أنه المسؤول عن تدمير الزراعة في مصر والمبيدات المسرطنة، وهو من فتح زراعة مصر للإسرائيليين تعبث فيها كما تشاء.. هنا سمعني أحد أساتذة الزراعة الكبار – وهو رجل محترم جدا واسع العلم يمقت إسرائيل كالجحيم – فقال لي: "لا تصدق الصحف.. لأن لا أحد يسمعك، وأنت لن تسمعني أو تصدقني، لهذا أقول شهادتي لله. أنت بعيد عن الصورة تماما ولست مختصا، ولا تعرف ما فعله هذا الرجل للزراعة في مصر.. لو كان عندنا اثنان مثله لصرنا من أهم مصدري القمح في العالم. لقد كان مدمنا للعمل شديد الحماس

والحقيقة أنه أبعد لأنه كان أنجح من اللازم!

-"ما سلام ؟!! .. وماذا عما كتبته عنه الصحيفة الفلانية والجريدة الفلانية؟ وكل هذه الحملات ضده ؟"

-"تصفية حسابات لا أكثر.."

أدهشني كلامه!! أحببت أن أسمع الرأي والرأي الآخر إلى أن تقترب من [illegible].

أحد الطرفين كاذب أو مخدوع. لكن أيهما؟. بالطبع أميل إلى أن ما نعرفه من صحف المعارضة هو الحقيقة. لكن هل يمكنك تجاهل كلام يقوله أستاذ زراعة شريف واسع العلم والخبرة ؟

ثمة مشكلة أخرى أعتقد أنها حقيقية. هي أن البخار يصدر من كل مكان.. مئات الثقوب في مجتمعنا يخرج منها البخار الغاضب. والكل يبحث عن كتابة في الصحف.. على شبكة الإنترنت. في المدونات. أعتقد أن هذا أضعف قوة عزم البخار فلم يعد قادرا على [illegible] 18 و19 [illegible] كانت مركزة. لكن البخار اليوم يخرج بانتظام وبشكل منهجي فلم يعد قادرا على عمل شيء على الإطلاق. وكما ترى نحن نتكلم بعصبية

وصراحة منذ عام 1990 ولم يتغير أو يحدث شيء . ومن الواضح أننا يمكن أن نكمل ثلاثين عاما أخرى.

لا يمكن أن يفيد أحد الإعلام من جديد، حتى لو أردنا هذا . لكن التجارب أثبتت أن هذا مستحيل في عصر الفضائيات والإنترنت. وأنت تعرف اختراع البروكسي وسواه.

والحل؟.. هل ستبقى هذه الفوضى للأبد ؟

ربما كان غيري قادرا على إيجاد الحلول، لكني أرى أنه يجب أن يبدأ المرء بنفسه أولا. يجب أن يتقي من ينقل الخبر الله فيمن يسمعونه، وأن يبعد أهواءه الشخصية وميوله الأيديولوجية وينقل ما حدث بالضبط . ما رآه بالضبط وليس ما يتصور أنه حدث أو ما يتصور أنه كان يجب أن يحدث .

القصة التي تؤثر فيّ كثيرا هي قصة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه (إبراهيم) وحدث خسوف للشمس.. قال المسلمون: لقد خسفت الشمس حزنا على (إبراهيم).. عندها كان غضبه صلى الله عليه وسلم شديدا مخيفا وقال لهم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته". هذا

درس في الموضوعية والدقة . ما حدث حدث وما لم يحدث لم يحدث فقط.

العدل.. العدل والحيادية، حيث لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. يجب تحري الدقة. الدقة لتمرير يجب أن تكون لها عوامل.. يجب أن يقرأ المرء الرسالة بعين ناقدة قبل أن يمررها لسواه. أعتقد أن معظم مستعملي الانترنت يمررون ما يصلهم قبل أن يروا محتواه.

نفس الروح الناقدة المتشككة يجب أن يتحلى بها من يتابع الفضائيات. ليس كل ما يقال صحيحا. أما عن الإعلاميين أنفسهم، [illegible]

[illegible]

يمضون على أنامله ويقولون: ليت كل بيت رجل واحد أمين

الحد للكراهية

من الأفضل أن يتوقف المرء هذه المرة بعد أن وصلت الأمور إلى هذا الحد، فلو تكلمت قائلا أي شيء لقلت الشيء الخطأ. إما أن تلهب النفوس وتزيد النار اشتعالا وتسكب عليها المزيد من البنزين، أو تدعو للحكمة والتعقل وتذكر الناس بالقومية العربية، وهي دعوة تبدو ساذجة رقيعة جدا أمام كل العنف الذي تعامل به الجزائريون مع [illegible].

كل الناس يتكلمون وقد فُتحت طاقة القدر لوسائل الإعلام التي وجدت مادة تكفي لملء الصفحات وساعات الإرسال لمدة شهر على الأقل، فلن أضيف شيئا جديدا إلى كل ما قيل ويقال. لكن لا بأس من أن يوجه المرء بعض الاتهامات

الاتهام الأول موجه بالطبع للإعلام الذي سقط سقوطا ذريعا في هذا الاختبار منذ اقتربت المباراة. فقمة انعدام المسئولية أظهرتها وسائل الإعلام المصرية والجزائرية على حد سواء، وهكذا تم شحن الجماهير على الطرفين لحرب حقيقية لا خيارات فيها سوى النصر أو الشهادة. مع ولع سادي مجنون بنبش كل حرف.. لو أطلق مشجع جزائري أحمق سبة في مصر، فسرعان ما تسوّد مقالة كاملة عن هذه السبة، ثم يجلس كاتب المقال ويسترخي في مقعده ممسكا بقدح النسكافيه. ويتابع في استمتاع ردود القراء على الإنترنت.. القراء الذين احمرت عيونهم وصعد الدم في أدمغتهم فلم يعودوا يعون ما يكتبون. شتائم مهينة جدا انهالت على رأس مصر ورأس الجزائر في الفترة الأخيرة. فنحن عملاء الصهيونية الذين نتصرف بحقارة، وهم البربر أبناء الفرنسيين الذين لا يعرفون العربية ولا الإسلام ولا [illegible] تصفو العلاقات مرة أخرى.

هذه عينة مما يكتب عندنا: " استهزأت جريدة أخبار اليوم الجزائرية بالدعوات الصحفية المصرية بضرورة التهدئة، وقالت: لم

تتردد بعض الصحف المصرية امس، في دعوة النظام المصري المتحالف مع الصهيونية جهرا نهارا إلى (تقبيل الحذاء الجزائري). عدد من مواقع الجزائرية على شبكة الانترنت يبث مقطع فيديو لشبان من الجماهير الجزائرية الذين صنعوا نعشا من الخشب. ووضعوا عليه علم مصر ثم حملوه على سيارة نصف نقل وكتبوا على احد أوجهه كلمة (الإعلام المصري) ومن الجانب الاخر (سمير زاهر). فضلا عن ذلك فقد طافت الجماهير الجزائرية بهذا النعش في شوارع العاصمة الجزائرية فيما يشبه جنازة للإعلام المصري

بأمانة هل نشر هذا الخبر مفيد لواحد آخر غير كاتبه؟.

هل ازداد انصاري حكمة وعلما؟.. فقد ازداد حقدا وسوف يبحث عن أي جزائري ليفتح راسه. عشت في هذا الجو عدة اشهر حتى وقعت الواقعة، ولأن حقق الإعلام في البلدين هدفه الاسمى واشعلت النفوس. فمن هم الرابحون؟.. لديكم مادة مثيرة لبيع الصحف وشغل الفضائيات مدة طويلة ... [illegible] ... ظاهرة جديدة فعلا هي الإعلام لا يتابع ما يحدث. بل يخلق الظروف المناسبة لحدوثه ثم يتكلم عنه عندما يحدث. كالصحفي الذي يقتل الناس ليجد أخبارا يملأ بها صفحة الحوادث.

نقطة أخرى مهمة هي أن الاخبار التي ترشح ليست دقيقة وليست كاملة. فلماذا تصر الصحف على أن اللاعبين الجزائريين هوجموا فعلا في القاهرة. ولماذا تصر على فرض عقوبات على مصر وليس الجزائر؟.. هل الفيفا متواطئة لهذا الحد المهين، أم أن بعض الجماهير غير المسؤولة فعلت ذلك فعلا؟.. لقد رايت الزجاج خارج الحافلة لكن من اين جاء الجزائريون بالدم على رؤوسهم؟.. هل هو ميركيروكروم كما يزعم المصري في فيس بوك؟.. هل جرحوا انفسهم؟.. تخيل ان تقوم انت بفتح رأس عصام الحضري ومصعب وأبي تريكة لمجرد أن تلفق تهمة للجماهير الجزائرية. صعب أن يحدث ذلك. كما انه من الصعب أن تصدق وجود مؤامرة لتحالف الفيفا والجزائر وقناة الجزيرة واست لطرف الوحيد الصادق، ولو صدقنا هذا فأين ذهب الاخوة في فيس بوك الذين كانوا يدعون كل بلطجية مصر وسماحيها لتكريم الفريق الجزائري واضافه 11 شهيدا الى المليون؟.. لو كان الجمهور المصري بريئا فلم ... بكل ما فعلته قبل المباراة.

لغريب أننا كنا نتندر دوما على الحرب التي نشبت عام 1969 بين هندوراس والسلفادور بسبب تصفيات قارة أمريكا الجنوبية المؤهلة لكأس العالم. كان المرء لا يصدق (هيافة) هؤلاء القوم عندما خسرت هندوراس أمام السلفادور بعد انتصارها. فقام الرئيس الهندوراسي بترحيل مزارعين السلفادوريين من بلاده وتطورت الأمور بسرعة قصفت بها طائرات هندوراس على مواقع جيش السلفادور . ردت السلفادور بغزو هندوراس.. ودارت حرب قصيرة كلفت البلدين آلاف الأرواح. برغم الكلام عن أخوة الأمريكيين الجنوبيين والتاريخ والكفاح المشتركين! . مضحك. أليس كذلك ؟... تذكر كذلك أن البلدين كانت بينهما مشكلة حدود قبل المباراة. نحن فعلنا الشيء ذاته تقريبا مع فارق أنه لا يوجد أي توتر سابق بين البلدين.

الكلام عن الأخوة والوحدة العربية يسقط مع أول اختبار أو خلاف وها هي ذي مهزلة استدعاء السفراء تبدأ.. استدعاء السفير الجزائري. استدعاء السفير المصري في الجزائر والسودان.. مصر مختلفة مع الجزائر والسودان متضايقة من مصر لأنها تتهم

الأمن السوداني بالتراخي . ثم تدخل غزة على الخط، فهي ضد الجزائريين لأنهم سخروا من أهل غزة الذين خرجوا يهتفون لمصر ، هكذا تتم الفرقة بين أربع دول عربية

طريقة (عركت السلطانية) هذه لن تفضي الى أي شيء . أنت لن تضرب الشعب الجزائري كله فلنكف عن الجعجعة والتهديدات إذن. ولكن يجب أن نعود حقنا عن طريق التعقل.. هناك عريضة تخاطب الفيفا تدور في شبكة الانترنت بتوقيع عشاقها، وبرغم أسلوبها الإنجليزي الركيك فهي تعبير عن الغضب لا بأس به هناك قنوات دبلوماسية كثيرة يجب أن تجرب كلها لإعادة حقك الذي يوشك على الضياع. مع استخدام حوادث حقيقية موثقة وليس هذا الهراء الذي ينشر في الصحف. مصر بلد مهم قادر على أن يضغط على الفيفا. إن جزءا كبيرا مما يحدث لنا يعود لأن وزارة الخارجية لا تؤدي عملها كما يجب أو لا تؤديه على الإطلاق هل أنا متجن؟.. الكاتب أسامة غريب كان في السلك الدبلوماسي لفترة طويلة، وقد كتب مقالا قاسيا في كتابه فائق الإمتاع (مصر ليست أمي..) بمناسبة حادث سرقة مخزن الخمور الخاص بسيادة السفير. والذي يحوى

للشروبات التي يقدمها للضيوف الأجانب: "في حديث تلفزيوني لوزير الخارجية السابق أحمد ماهر قال إن العمل الدبلوماسي ليس نزهة ولم يعد حفلات وبروتوكول وكوكتيلات. إنني أشعر بالأسف عندما أسمع هذا الكلام يتردد كلمة حسنة. لأن البعثات الدبلوماسية المصرية في أرجاء المعمورة لا تعمل سوى حضور حفلات الشرب وموائد الطعام، وهذا لا يقتصر على السفارات والقنصليات بل يمتد ليشمل الجيوش الجرارة من الموظفين في البعثات المصرية في 188 دولة . . . . الآف الموظفين يقبضون مئات ملايين الدولارات من لحم الوطن المصري لا يعملون سوى ارتياد صالات المزادات وتنمية مواردهم . لقد وصلت الرسالة كاملة للدبلوماسيين في الخارج . لا تصدقوا أنكم دبلوماسيون بجد.. السياسة الخارجية لمصر لا علاقة لوزارة الخارجية بها! كل المطلوب منكم أن تأكلوا وتشربوا في حفلات السمر وتدعوا للسلطان بالنصر، والقيام بالتسهيلات ووضع خبراتكم في التشويح تحت الطلب . . . إن غياب الدبلوماسية المصرية هو أحد أهم الأسباب لاختفاء الدور المصري وهوان مصر على الجميع. ويسمح لنا السيد أحمد ماهر بأن نختلف معه فنحن لا نرى العمل

الدبلوماسي سوى تشريفات وبروتوكولات وثرثرة وشراب ومرح"

هذا كلام شاهد من أهله وليس كلامي..

ما حدث بروفة مخيفة لما يمكن أن يحدث عندما تجن الجماهير. فلا يصغي أحد لصوت العقل أو صوت علماء الدين مثل القرضاوي. ويسمعون فقط لشهوة الدم ونداء الثأر بينما يتحول المطالبون بالتهدئة إلى جبناء وكلاب. هذه بروفة للطريقة التي يمكن أن تحدث بها حرب أهلية. الحقيقة أننا – العرب – شعب متعصب ضيق الأفق. والإسلام لم يزل كل ما في نفوسنا من بقايا الجاهلية بعد.

عن سوبرمان الجديد

بسبب وعي بالسينما أتابع الأفلام العربية باهتمام شديد. وإن كان هذا الاهتمام يقتصر غالبًا على روائع الستينات والسبعينات التي سمعت عنها ولم أرها لأن سني لم تكن تسمح بهذا في ذلك الوقت. والتي تقدم غالبًا على قناة TCM. ولهذا أندهش عندما أتابع الأفلام الغربية الحديثة جدًا بسبب نغمات تتكرر بإلحاح مزعج وبلا توقف.. هناك نغمة تقدير واضحة للزنجي.. هذا شيء جميل فعلًا. ويناقض ما عرفته في صباي من نوازع عنصرية لا تخفى لدى السينما الأمريكية. ويبدو أن هذه النغمة قد بلغت ذروتها على أرض الواقع بانتخاب أول رئيس أسود للولايات المتحدة.. لو كنت قد رأيت دور (مورجان فريمان) في فيلم (بروس كلي القدرة) لفهمت إلى أي مدى يمكن أن يبلغ تقديس الزنجي، وأعتذر عن التفسير أكثر.

النغمة الثانية هي نغمة تقديس اليهودي، وهي نغمة قديمة جدًا ومعروفة.. لا جديد فيها لو تذكرت أن أول فيلم أمريكي ناطق على الإطلاق كان هو فيلم (مغني الجاز) الذي يحتوي على صلاة يهودية كاملة ويحكي عن معاناة أسرة يهودية بلوغًا للمجد.. من يعرف السينما الأمريكية جيدًا يدرك أن المسيحي كيان نادر في هذه الأفلام، فبطل الفيلم العبقري اليهودي (ديفيد) أو (روبين) هو الأساس. ولابد من مشهد بالطاقية في المعبد اليهودي حتى لا تنسى. وغالبًا ما يتم خلط مفهوم اليهودي بمفهوم الإسرائيلي بخبث شديد بحيث يصير من يمقت إسرائيل معاديًا للسامية. وفي حوار قرأته مع الممثل اليهودي الأحول (كوين) – وهو علامة معاصرة من علامات السينما الأمريكية – يقول أحدهم إن ما يحدده لكتابة سيناريو هو شيء واحد فقط: هل هذا السيناريو مفيد لإسرائيل أم لا.

النغمة الثالثة التي لن أقبلها ولو بعد ألف عام هي نغمة تقديس الشاذ جنسيًا. هذا شخص حساس يعاني الاضطهاد وسوء فهم المجتمع، وكل شيء قد يجرح مشاعره.. لنكن متحضرين ونحترم رغبته هذه. هذه نغمة لم تكن موجودة منذ عشرين عامًا لكنها اليوم

ملحة بشدة، وتعرضها السينما الأمريكية بكثير من الفهم والرحمة والاحترام!

هكذا تجد أن السوبرمان الجديد الذي تقدمه السينما الأمريكية هو اليهودي الزنجي الشاذ!.. وقد بحثت – على سبيل التسلية – عن هذا الشخص على شبكة الإنترنت فوجدت موقعًا مخصصًا لليهود السود الشواذ يتكلمون فيه بتعقل وعنطزة باعتبارهم الصفوة! وفي فيلم (أفضل ما تصل له الأمور) يلعب جاك نيكلسون دور شخص عنصري مريض لا يُطاق، يضطر للتعامل مع الزنوج واليهود والأسوأ مع جاره الشاذ.. يكتشف أن جاره إنسان حساس رقيق جدًا وشفاف يوشك على التحليق بجناحين. تكون نتيجة هذه التجربة أن نيكلسون يتخلص من قدرته السابقة ويسمو!

لا أحد يطالب بقطع رأس الشواذ أو سجنهم ولكن أطالب بعلاجهم أولًا، وبعدم اعتبارهم النموذج الأسمى للجنس البشري كما يحاولون إقناعنا، وهي صورة عجيبة للسوبرمان لابد أن الخواجة نيتشه كان سيصاب بنوبة لو سمع عنها!

الشذوذ الجنسي مرض نفسي على عضوي وراثي. مرض

يحتاج إلى علاج كالسكري بالضبط. لكن الأخوة الغربيين في أمريكا وأوروبا يصرون على أن الشذوذ ليس مرضًا بل هو طريقة حياة! .. لا تضايقوا من هذا البائس عندما يمشي.. اتركوه يحقق ذاته.. اتركوه ينفس في وجوهكم فأنتم متحجرون ولستم عصريين.. هذا حق طبيعي ورفضه من الفظاظة بمكان.. الأدهى أن يحاولوا إقناعك أن مريض الشذوذ أفضل منك وأسمى..

هناك تيمة تتكرر في الأفلام الأمريكية ورأيتها مثلًا في فيلم (كابوت) و(أن تكون جون مالكوفيتش) و(كينزي). هي تيمة أن البطل / البطلة يعاني التوتر والاضطراب النفسي والاكتئاب ثم يصل للسلام مع نفسه ويتصالح معها عندما يعترف لها أنه شاذ. وفي فيلم مصري شهير يصل البطل للسلام مع نفسه وهو يشاهد حفلًا لأم كلثوم تغني فيه (قد إيه من عمري قبلك راح وعدى يا حبيبي) فتدمع عيناه ويكتشف أنه شاذ.. ويقرر أن يستكمل حياته بهذه الطريقة!

عندما يكتب أحدهم تعليقًا ما في الإنترنت أو يبدي شيئًا من السخرية، يهب الجميع صارخين.. على رسلك.. هذا قد يجرح مشاعر الملايين!. ويجد صاحب التعليق نفسه في موقع المدافع عن

نفسه الذي يؤكد أن بيته كانت صفية والده العظيم.. من أنا كي أجسر على إبداء نفسية هؤلاء القوم مرهفي الحس!

أحدث بيتير العربيون جنوبي أن دودة (انكوسيركا فولفولس) التي سببت عمى الأنهار في قطاعات كاملة من أفريقيا توشك اليوم على الانقراض بسبب سياسة منظمة الصحة العالمية للصحة والبرص العظيم (برنامج مالك ساميا) هنا تفاجأ بمن يطالب بالعمل و التوقف باعتبار هذه الدودة من الأنواع المهددة بالانقراض Endangered species !!.. قرأت مقالا عن هذا الموضوع كاد يصيبني بالشلل . من هذه الرقة ؟ هل تحول الجميع إلى نسخ من (غاندي) بينما ظللت أنا وغد ؟

ذكرني هذا هو أن هذا التسامح و التقديس غير المبرر يضمن مزيد من الشواذ الجدد.. الطبيعة تقلد الفن وهناك كثيرون لم يكونوا ليصيروا كذلك لولا هذا التسامح الإعلامي الأسطوري. بينما من المفيد للمجتمع فعلا أن يظل اسم الخطأ هو (الخطأ).. المؤمن العاصي له وضع خاص أفضل بكثير من وضع الكافر. تقول لهم إنه سيأتي يوم يتحدثون فيه عن السرقة باعتبارها مجرد خلل نفسي-

فيقولون لك: السرقة فيها مساس بممتلكات الغير وحريتهم بينما الشذوذ لا يفعل ذلك!

كل واحد من الناس له أركان روحه المظلمة. لكن من الخير لهذه الأركان المظلمة أن تظل حيث هي.. وإذا بليتم فاستتروا.. ليس من الواجب أن نعتبر الانحرافات شيئا معتادا وحق مكتسب من يرفضه عنصري ووغد ذو ميول نازية.. إن المجتمع الغربي هو من سمح للعفن أن تبلغ أقصى مداه ولا تطلب كمرض وعلاجها.

والنتيجة هي أن ترى في كل يوم صورة لمظاهرة في ميدان عام بالغرب. يقف فيها حليق مشعر عاري الصدر يحمل مساحيق أنثوية كاملة. ويحتضن حليقا مشعرا آخر في حنان. هذان عاشقان.. لماذا تحاسبونهما يا متوحشون؟.. وتقرأ عن مئات الأسر الغربية التي تتكون من أبوين من نفس الجنس..

كالعادة تلج هذه المفاهيم كقطرة الماء على عقولنا المصرية.. قطرة قطرة.. في النهاية تتكون الفجوة. يمكنك أن ترى [illegible] (حمام الملاطيلي) و(الصعود إلى الهاوية) برغم صراحة الفيلمين الصادمة عامة، ويوم

صار الشذوذ الجنسي موجودا في معظم الأعمال الفنية المصرية. وعما قريب سوف يصير وجوده عاديا وربما مطلوبا .

يبدو أن الثقافة الغربية تفرغت لتكريس فكرة أن سوبرمان الجديد هو اليهودي الزنجي الشاذ. ورهاني الذي لا أملك دليلا عليه يؤيده هو أن هذا الاتجاه الإعلامي يضيف للوجود المزيد من الشواذ (فهو لن يضيف زنوجا ولا يهودا بالطبع!)

تخيل أن (جيمي) يهوى العبث في أنفه . هذه عادة سيئة وهو يحاول إخفاءها والتخلي عنها.. ثم يجد أن الإعلام كله يؤكد أن العبث في الأنف شيء طبيعي وحق للبشر، ومن يعترض عليه عنصري. ويكتشف أن هناك جمعيات كاملة ومظاهرات تدعو لحرية العبث في الأنف. هل يتخلى (جيمي) عن عادته؟.. بالطبع لا.. سيدس إصبعه في أنفه في كل مكان والويل لك لو اعترضت.. بينما كان من الممكن أن ينجح بمعونة بسيطة في التخلي عن هذه العادة.

هكذا يعود الغربيون لمراجعة كل شيء، وبالتالي لم يعد هناك شيء بريء على الإطلاق. هم لا يبحثون عن هذه العلاقات من منطق

الرغبة بل من منطق أن هذا موجود منذ زمن سحيق ونحن كنا أغبياء لا نعلم . قرأت مقالا عن شيرلوك هولمز وصديقه المخلص د. واطسن.. يرى صاحب المقال إن واطسن كان امرأة على الأرجح، أو هو رجل على علاقة بهولمز.. لا يوجد لدى الغربيين اليوم تفسير لصداقة حميمة بين رجلين سوى هذا. لا يوجد شيء بريء لكن هناك أغراض سوء نية رهيب

هناك مواقع إنترنت تحلل العلاقة بين المحررة (ربيكا) وصديقتها.. من جديد هناك شكوك في تلك الصداقة. هل كان العجوز البخيل الذي يستضيف (أوليفر تويست) مولعا بالأطفال pedophile؟.. حتى (داني بويل) مخرج فيلم (مليونير العشوائيات) قيل إنه يحمل ميلا غير طبيعي نحو الأطفال.. والدليل؟.. أنه قدم فيلما جميلا عنهم! !

كل شيء مريب.. كل شيء غير مريح.. في الوقت ذاته هم لا يفتشون في الضمائر من أجل تدعيم القيم المحافظة مثلا، بل ليؤكدوا أن (العملية بايظة) منذ عشرات السنين. لقد كانت هذه الأمور موجودة دائما ونحن نتجاهلها بضيق أفق! !

هل يمكنك أن تجد شيئا مريبا في قصص (باتمان) التي ابتكرها (بوب كين)؟ هناك عالم نفسي مجنون اسمه (فيرتام) رأى أن القصص غير أخلاقية تماما وكتب عام 1954 كتابا اسمه (غواية الأبرياء)، وفي هذا الكتاب يلاحظ أن عالم (باتمان) رجولي تماما هو والفتى (روبين) فقط.. أليس هذا دليلا كافيا على كل شيء؟.. هكذا اضطر مؤلف (باتمان) اضطرارا إلى خلق شخصية القطة الوطواط والمرأة القطة وجاء بعمة (بروس واين) من بلدهم لتقيم معه في قصره!.. هذه شخصيات اخترعت اختراعا لدفع التهمة!!

في ذلك العصر كانت تهمة. ربما يصنعون تمثالا لبوب كين اليوم. ولكن سيسعى صانعه لتأكيد التهمة لا نفيها!

(ملحوظة خارج السياق: القصص المصورة التي اعتمد عليها فيرتام في كتابه لإثبات أنها مفسدة للنشء، تباع اليوم بسعر الذهب!)

شاهدت حلقة عن مفهوم الأسرة في برنامج (هراء) – الترجمة المهذبة للعنوان – الذي يقدمه شخصان ظريفان سليطا اللسان هما (بن) و(تلر). البرنامج قائم على هدم معظم الخرافات التي صارت

عادة قديما، ومنها الطب البديل ومخاطر البيئة.. الخ. في تلك الحلقة يضيف البرنامج لقائمة الخرافات خرافة جديدة هي الأسرة!!

البرنامج يلقي بقنبلة نفسية مخبولة توحي بأن مفهوم الأسرة يتطور مع الزمن.. لم يعد مفهوم الأب والأم والأطفال الذين يعيشون في بيت واحد هو المعنى الصحيح للأسرة. نكتشف الأرقام التالية:

طفل من كل 25 طفلا أمريكيا ليس له أبوان معروفان على الإطلاق!

طفل من كل 3 أطفال يعيش مع أبوين غير متزوجين!

طفل من كل طفلين يعيش في بيت مع والد واحد فقط.

عشرة ملايين طفل يعيشون في بيت مكون من أبوين شاذين (يعني الطفل يعيش مع أب وأب أو أم وأم!).

يلتقي البرنامج مع مفكر محافظ يدعو للأسرة التقليدية التي خلقها الله: أب يسعى للرزق وأم تعنى بالأطفال والبيت.. يوسعه البرنامج سخرية، باعتبار هذه الأسرة هي بالضبط ما كان يفعله رجل الكهف. ثم يتحول البرنامج إلى المدافع الرئيس عن فكرة الأسرة

هم السياسيون اللاجئون إلى أصوات الناخبين [illegible]

[illegible]

لكبيرتين وعنيبة لعنيبين [illegible]

سوش معناه أنها خسرت

ويوجد بيت من عشرة ملايين بيت تعيش فيه امرأتان تربيان طفلين. لا يوجد أب [illegible] عن كيفية رؤيتهما للطفلين. فحصة معقدة تقوم على الحصول على الامشاج من شقيق واحدة منهما!.. كيف يكون الطفل ابنهما إذن؟.. ما تفعلانه في الواقع هو أن واحدة تربي ابن أخيها!.. [illegible] مختلفين وليست أباً أو أمه...

لكن البرنامج يحاول إقناعنا أنها أسرة متفردة، تطهو للأولاد وتعلمهم الرسم وتقرأ لهم القصص. ويلتقي بالعالمة النفسية التي تؤكد أن ما يمكن أن يؤدي لخلل نفسية الطفل ليس نوع الأبوين، بل الفقر والبطالة.. يعني الاقتصاد هو المقياس الوحيد لتربية الأطفال.

هناك أمثلة أخرى يشيب لها شعر رأسك. لهذا لن أقدمها لأنني صدمت بما يكفي اليوم.

النتيجة ؟... فعلا لا أفهم لماذا لا تنهار تلك المجتمعات حتى هذه اللحظة؟ ربما كانت عملية النحر تحتاج إلى وقت أطول مما تصورت. أو أن انهيار المجتمعات يعتمد على عوامل اقتصادية أكثر منها أخلاقية.. أو لأن المجتمع الغربي يملك قدرة فائقة على تصحيح المسار بسبب حيوية الديمقراطية.

هم أحرار فيما يفعلون لكني بالفعل أخشى تسرب هذه الثقافة لنا.. المشكلة أن خرطوم الثقافة الذي يتدفق من عالمهم [illegible] مرشحات [illegible] تسمح بمرور هذه السخافات، بينما تمنع مرور الأشياء المهمة فعلا مثل ميكانيكا الكم وقيم العمل والدقة العلمية.. إلخ..

هذه الثقافة تتسرب لنا.. لا تزعم أن هذا ليس صحيحا لو سمحت، ويكفي أن تبحث في بعض المنتديات والمحادثات السرية على النت، لتجد أن هناك من يرفع صوته خافتا معتبرا نفسه أقلية [illegible]

[illegible]

الأعوام القادمة. ولسوف ترسم خط على الصخر بلا شك. ومن جديد أكرر: أنا لا أطالب بقطع الرؤوس والسجن.. أطالب بالطبيب النفسي لا أكثر ولا أقل.

الطريف في فنون التخويف

تأخر الخطاب كثيرا لكنني كنت أدرك يقينا أنه قادم، ومع الوقت بدأت أقلق. هناك خلل في بريدي أو في شخصي بالتأكيد.. ربما أنا لا أستحق أن يهددوني ؟

ثم جاء الخطاب الذي انتظرته طويلا. الحمد لله.. الدنيا ما زالت بخير.

خبيرة غذائية تحذر من استعمال المكرونة الآسيوية الدقيقة سماة (اندومي)، التي يدخل في تكوينها ملح صيني يدعى (أجينو موتو)، وهو يسبب تلف في خلايا المخ ويسبب سرطان الدماغ. إن الإندومي يحتوي مادة E621 التي تسبب تسمم المخ وتسبب تراجع الذاكرة وضعفها، وتدهور القدرات العقلية وفقدان القدرة على التركيز

ومعالجة الأمور الحسابية أو الرياضية المتوسطة. ثم يؤدي إلى غباء عقلي بدون مبالغة. كذلك تؤدي الإندومي إلى الإصابة بالشلل الرعاش والزهايمر والصداع المزمن. ومع الاستمرار في تناوله يؤدي لسرطانات مثل سرطان الثدي وارتفاع الكوليسترول وضغط الدم و الأزمات العصبية [illegible] وغير ذلك الكثير [illegible] – وشكرا لخبيرة التغذية – تقدمها وجعلها الوجبة الرئيسية بعشاء لفتيات كليات وستعرف عندما تراهم لا ينامون، وتراهم في المنزل يحزنون ويصرخون [illegible] البيت. وتختبر منهم مشاغبات ليس لها حد، وسوف هذا حين النوم. آن أوان الوقت لتأخذ موقفا من هذه المنتجات والحد من مكوناتها، والبحث عن مضارها ومنعها قبل استعمالها.

وهكذا أضيف عنصر جديد إلى قائمة الانذارات اليومية التي تعرضنا إلى معهد الأورام ثم القبر. فلنذهب للقبر فقط. نحن لا يحب أحدنا أن يسبق ذلك ترانزيت في معهد الأورام أو مركز الكلى أو معهد الكبد لا سمح الله. على كل حال يسهل تصديق هذا الخطاب جدا لأن كل أب يعتبر أبناءه أغبياء وغير طبيعيين. ما هو السبب؟.. لا يجدر أن يكون السبب وراثيا لأنه – الأب – عبقري..

ن المشكلة فيم نحله هولاء لأوغاد الصغار. هذا الخطاب بالذات قوي التأثير جدا بدرجة أنه أدى لصدور فتوى عراقية تقضي بتحريم كل الإندومي، ولا لوم على صاحب الفتوى طبعا لأنه استند الى كلام العلماء الذي يقضي بوجود ضرر أكيد

هذه القائمة العجيبة من الامراض التي تسببها الإندومي – كذلك تتعامل مع مخلفات الشيطان – تثير الريبة فعلا. عندما يشكو لي المريض من رأسه وقلبه ومعدته وقدميه ومفاصله فانني ارجح ان المرض الحقيقي موجود في عقله

مادة مونو صوديوم جلوتامات او MSG هي مسماها E621. ونحن نعرف انها تستخدم كمكسب طعم في كل شيء تقريبا. معظم الدراسات التي اجريت عليها تقول انها مأمونة بالجرعات العادية. لو حدث أي شيء بجرعات زائدة حتى لو كان (فيتامين) فهو مضر بالتأكيد. والواقع هناك أشخاص قد يكونون مصابين بحساسية للجلوتامات، أو لا يجب أن يتناولوا جرعات اضافية من الصوديوم هم يعرفون هذا. لهذا اشترطت الحكومات كتابة ان المنتج يحتوي هذه المادة. الدراسات كثيرة جدا لأن هذه المادة معرضة

للذعر.. ومن حين لآخر يعود الكلام عن أنها خطرة أو مسرطنة. لكن العالم الامريكي (هارولد مكجي) يؤكد في كتابه (عن الطعام والطبخ: العلم وتقاليد المطبخ - 2004) خلاصة هذه الدراسات التي تؤكد ان هذه المادة بلا أي خطر. نفس الشيء أكدته الـ FDA الصينيون اجروا دراسة مدققة واسعة فوجدوا أن الخطر الوحيد لهذه المادة زيادة الوزن

على كل حال تبين ان هذا التهديد الزائف يدور عبر الانترنت منذ عام 2007، وصلت تهديد زائف آخر يعود لعام 2000 [illegible] تسمم بالمادة الشمعية المطلية للمكرونة. كلام فارغ هو الآخر

تهديد آخر من هذا الطراز العجيب يتعلق بأكل الجمبري.. لو اكلت جمبري ثم اكلت بعده البرتقال أو اقراص فيتامين (ج) فاكتب بنفسك شهادة وفاتك. الباحثون في جامعة شيكاغو وجدوا ان لحم الروبيان (الجمبري) يتضمن تركيزا عاليا من مركبات الزرنيخ مع البوتاسيوم. مع فيتامين سي يتحول الزرنيخ إلى ثالث أكسيد الزرنيخ. ويقتل الشخص الأحمق حتى قبل أن تبحث عن المعلومة.

من الصعب تصور أن يؤكسد فيتامين سي الزرنيخ بينما هو عامل مختزل معروف.. فيتامين سي لا يؤكسد ولن يصنع الأكسدة!. طبعا تبين أن هذا التهديد كلام فارغ خال من الصحة، وهذه الإشاعة تجوب شبكة الإنترنت منذ عام 2001، ولا يبدو أنها ستموت أبدا لأن كل واحد يعرفها يعتقد أنه عرف شيئا لم يعرفه أحد من قبل.

ما أريد قوله هنا يتلخص في نقاط:

1- نصف العلم جهل.. والإنترنت كما قلت، تنشر الجهل والمعلومات الخاطئة بسرعة البرق. ومن الصعب أن نقرر: هل انتشار معلومات خاطئة أفضل أم عدم انتشار المعلومات على الإطلاق؟

2- في قصة لبريخت يحكي عن رجل لم تعد لديه لذة في الحياة سوى الكلام عن المرض الذي أصيب به.. هنا نجد أن الناس لم تعد لديهم لذة في الحياة سوى التهديد بالسرطان.. هذا ما أطلق عليه (شهوة السرطان) حيث كل شيء مسرطن. وهذا الكلام يظفر بالتصديق دوما بسرعة البرق. بعض التحذيرات حقيقي وثابت علميا ولا يحتمل المزح، مثل أن رقائق البطاطس التي يلتهمها

الجميع تحتوي مادة الأكريلاميد المسرطنة، ومثل أن المواد الدفينة تحت قشرة البصل هي مادة أفلاتوكسين التي تسبب سرطان الكبد.. لكن هناك الكثير من الهراء كذلك: موجات الميكروويف تسبب السرطان (بحثت بدقة عن هذه النقطة وأعرف يقينا أنها كذبة). وفي أحد المؤتمرات العلمية الكبرى وقف أستاذ مصري كبير ليؤكد أن عقار البرازيكوانتل الذي أنقذ مصر من البلهارسيا يسبب السرطان، وهنا سأله أحد الأساتذة الذين يديرون الجلسة: "أين قيل هذا؟" قال مصرا: "في الأبحاث.. في كل مكان..". هنا قال الأستاذ الثاني: "أنا لا أتحمل مسئولية أن تقال هذه الكلمات غير المسئولة في مؤتمر علمي، وأمام مئات من شباب الأطباء، الذين سيعتقد كل منهم أن هذا العقار الرائع يسبب السرطان، وبالتأكيد لن يكتبوه بعد اليوم بسببك". نفس الشيء قيل عن عقار آخر مهم هو (الرانيتيدين). لا مشكلة.. قل عن أي دواء أنه يسبب السرطان وسوف يصدقك الجميع لأن الناس تحب أن تكون الأطعمة والأدوية خطيرة وقاتلة، ويكره جدا من يقول العكس.

3- جزء كبير من هذه الحملات يتعلق بمعارك طاحنة

بين علامات محاربة. إشاعة أن السبسي كولا تنقل التهاب الكبد هي هي بالتأكيد من هذا الطراز. طبعاً يعرف أصغر طالب طب أن هذا كلام فارغ. هناك كذلك الرغبة في الشعور بالتميز وأنك تعرف ما لا يعرفه الآخرون. لا ألوم المواطن العادي الذي لا يعرف. لكن ألوم الأطباء الذين يجرهم تيار الخرافة معه وهم قادرون على التحقق. عندما يقول طبيب على شاشة التلفزيون إن الجزر – مثلاً – يسبب السرطان، فهل نلوم المواطن العادي عندما يخاف؟

4- الخوف موجات. موجة الخوف من جنون البقر – الذي لم يثبت قط أنه ينتقل من اللحم للبشر – ثم ظهرت أنفلونزا الطيور. هذا مرض حقيقي مخيف، لكنك قادر على الوقاية منه ببعض التعليمات الصحية. و التخلص من جلد الدجاج والطهي الجيد و الابتعاد عن أي مكان تغطي أرضه مخلفات الدجاج. لكن الناس أصيبوا بالذعر وهكذا نسوا ما كان وعادوا يأكلون اللحم. ثم ظهرت أنفلونزا الخنازير فنسي الناس كل شيء عن أنفلونزا الطيور وعادوا يأكلون الدجاج! ومن جديد لا لوم عليهم فلابد أن يأكلوا شيئاً. لكني ألوم الإعلام غير المسئول وثقافة الرعب السائدة. أحياناً يلعب

النجوم دوراً في هذا. مثلاً كان هناك برنامج جماهيري استضاف الفنان (محيي إسماعيل) ليعلن إعلاناً خطيراً: هو لن يأكل أي شيء بعد اليوم!.. كل شيء ملوث مسمم وخطر، وتكلم عن الدودة التي تسكن عروق ورقة الخس لتبدو مثلها بالضبط فتسممها.. بعد هذا العمر لم أسمع عن هذه الدودة قط. لابد من طريقة انتقال تتخطى العصارة المعدية والهضم. والخس لا ينقل الشيجيلا أو الاسكارس بهذه الطريقة أبداً!

5- لابد من أن يزداد حظك من العقلية النقدية: هل هذا ممكن؟.. ما الدليل؟.. لا تصدق كل شيء بل كن دوماً متشككاً. بمحركات البحث على شبكة الإنترنت في المواقع المحترمة (وليس المنتديات) مفيد، وقد يفيد كذلك استشارة من تعرف من أطباء. ولا ترسل الرسالة لطرف ثالث قبل أن تكون واثقاً من أن هذه هي الحقيقة

حمى عدم اليقين

حمى كيو . مرض قديم يعرفه كل طالب طب، يسببه ميكروب اسمه (كوكسيلا برنتي) الذي يمت بصلة قرابة للتيفوس. تم وصف المرض في أستراليا منذ قرن تقريبا والميكروب معروف منذ عام 1937. هذا المرض ينتقل عن طريق الحيوانات والماعز الى الإنسان بواسطة الاستنشاق واللبن غير المغلي. في المناطق الريفية في مصر يمكن القول إن كل طفل أصيب به يوما ما. الاعراض عامة ومبهمة جدا لهذا سمي المرض (حمى كيو Q) بمعنى Query أو (عدم اليقين)، لكنها قد تشبه الإنفلونزا. والاشعة على الصدر مريبة ظلالا من الالتهاب، وقد يحدث التهاب في صمامات القلب التالفة أصلا عامة يستجيب المرض بسهولة لبعض كبسولات التتراسيكلين أو

السلفا وينتهي المشكلة، ومن البديهيات العامة التي تعلمها أيام الوحدة الريفية أن نجرب التتراسيكلين مع هذه الحميات الغامضة لو لم يكن هناك مانع طبي، لأن فرصة عمل اختبارات معقدة شبه مستحيلة مع امكانياتنا، ولأن التتراسيكلين قد يقضي على مرض الليجيونيلا والسيتاكوزس بالمرة

المرض قديم كما قلت ومتوطن في مصر..

لماذا قررت الصحف إذن أن (إنفلونزا الماعز تجتاح العالم)، بينما هذا الخبر يظهر في موقع غربي يقول إن هولندا تواجه انتشارا لحمى كيو ؟

هي ليست إنفلونزا على الإطلاق ففيروس الإنفلونزا لا يسببها. وهي قابلة للعلاج بالمضادات الحيوية العادية، ومنظمة الصحة العالمية لم تستعمل سوى اسم (حمى كيو).. وهي لا تجتاح العالم.. لقد كانت موجودة في مصر طيلة الوقت. ولا أستبعد أن يكون الصحفي الذي كتب الخبر نفسه مصابا بها. منتهى الجهل وعدم المسئولية واستغلال الفزع والأوبئة وعدم التدقيق والبحث عن الإثارة بأي شكل. وهكذا التقطت كل الصحف ومواقع الانترنت

الخبر وصارت هناك ظاهرة جديدة اسمها (الكوليرا المعيز)، وجاء اليوم الذي يسألني فيه سائق التاكسي:

- حنعمل إيه في الكوليرا المعيز دي يا باشمهندس ؟"

قلت له إنني لست مهندسا لكنني طبيب أمراض معدية. وكل هذا كلام فارغ، فراح يهز رأسه ويمصمص شفتيه مع ترديد (يا سلام) مبديا انبهاره بدقتي العلمية وأنا أشرح له ما هي حمى كيو هذه، ثم في النهاية قال في أسى وهو يمصمص:

- "مشكلة الكوليرا المعيز دي فعلا.. !"

لا جدوى . . لا أحد يصغي لأحد في هذا العالم.. كل كلامي قد نزل في البالوعة .

المشكلة ليست الكوليرا المعيز، بل هذه الكثرة السرطانية للصحف التي تنشر في الصحف ومواقع الإنترنت والفضائيات. هذا لم يولد الحيوية الديمقراطية بل فتح المجال لنشر الكلام الفارغ.. إن مصر تعاني فعلا من حمى كيو أو حمى عدم اليقين. هذه الصحف تحب أن تملأ.. بالرأي.. بالفكر.. بالأخبار الكاذبة.. بالاستنتاجات.. المهم أن تملأ

في صحيفة محترمة للجرائم وحدث منذ عامين خبرا مثير على الصفحة الأولى: "حشرة غريبة تثير الرعب في الزقازيق وتقتل 700 مواطن. الحشرة تنقل الكوليرا معها!.."

أبسط شيء أن الكوليرا لا تنتقل بلدغ الحشرات . كل تلميذ في الابتدائي يعرف هذا، ومعنى ذلك ببساطة أن المحرر ساقط ابتدائية. أما عن صورة الحشرة فهي صورة بالمجهر الإلكتروني لنوع من (الحلم) الذي يعيش في طبقات الجلد الميتة للضحية ويأكلها، ويسبب نوبات الربو لدى المرضى. طبعا عندما تكبر صورته تصير أقرب للقطة من فيلم خيال علمي مرعب.

المهم هو البيع.. المهم هو شراء الصحف وليذهب المنطق العلمي للجحيم، والأهم فليذهب القارئ الساذج للجحيم، ذلك الذي سيصاب بالهلع وهو يشعر أن الحياة كلها صدمة .... لقد خرج الموت ليظفر به هو وأطفاله..

الأهرام هي الجريدة مستقلة محترمة وواسعة الانتشار (بالطبع ليست الدستور!) نشرت في الصفحة الأولى منذ أعوام خبرا يقول ما معناه إن أسدا في حديقة حيوان الجيزة التهم لحم حمار مصاب

بجنون البقر . النتيجة أن الأسد جن وأصابه هياج فظيع مما اضطر السلطات لقتله رميا بالرصاص. طبعا لا أحد يذكر هذا الخبر لكنني قصصته من الجريدة على أنني سأكتب عنه يوما ما.

من كتب هذا الخبر؟ هل كان بكامل قواه العقلية؟.. ومن رئيس التحرير الذي سمح له بهذا ؟.. هل الحمير تصاب بجنون البقر؟ . وهل المرض ينتقل للأسود؟ وهل يسبب اللحم المريض خلال دقائق بينما نحن نعرف أن الأمر يستغرق نحو عشر سنوات؟.. وهل جنون البقر يسبب الهياج بينما نحن نعرف أنه مجرد نوع من فقدان التوازن يجعل الأبقار تمشي كالسكارى ؟

ما عن الفوائد الذاتي مقال (سارة ستون) وكلام النصاب الأمريكي (هوروفيتز) ولولبية وزيرة الصحة الهلندية المزعومة. فظاهرة تثير الإعجاب فعلا. كلما حسبت الناس نسيت هذا الكلام الفارغ عاد للسطح بقوة في مقال في جريدة هنا أو هناك. لا تأخذوا اللقاح.. اللقاح فيه سم قاتل.. اللقاح مؤامرة لجعل نصف البشر أغبياء متخلفين عقليا ومشلولين.. إياكم والسكوالين. السكوالين يقتل يا حلوين...

وها هي ذي جريدة الدستور تخصص نصف صفحة من عددها الأسبوعي لتعيد نشر كلام هوروفيتز وسارة ستون، برغم أن سارة ستون كتبت مقالها عن مخاطر اللقاح قبل أن تنتج حتى لقاح جرعة واحدة. وفي الوقت نفسه هذا الكلام غير العلمي بينما المرض يزداد توحشا!. هناك خبر يقول: " كشفت خبيرة للقاحات بمنظمة الصحة العالمية ماري بولي عن الاشتباه في إصابة ما لا يقل عن 12 شخصا من مختلف دول العالم بالشلل نتيجة حقنهم باللقاح المضاد لإنفلونزا الخنازير، وأضافت: لم يثبت بالدليل القاطع ارتباط أي من حالات الإصابة بمتلازمة (جوليان باري) باللقاح حتى الآن". هل فهمت أي شيء؟.. هناك 12 شخصا أصابهم اللقاح بالشلل لكن لم يثبت أن اللقاح أصابهم بالشلل!

هناك موقع إنترنت أعلن في اختصار عن وفاة تلميذ مصري أحد [illegible] بإنفلونزا الخنازير ومات عقب جرعة من الفولتارين. السبب أن الأخ محرر الخبر ظن أن اللقاح اسمه (فولتارين). وبهذه المناسبة أعتقد أن عقار (دايكلوفيناك) أو فولتارين تلقى ضربة قوية جدا بعد هذه

لدعاية السيئة له برغم أنه من أهم الأدوية في ترسانة مضادات الالتهاب مخفضات الحرارة. لماذا وضعته وزارة الصحة في قائمة الممنوعات بهذه السهولة برغم أن أحدا لم يتهمه بشيء سوى في بعض حالات التهاب المخ في الهند، وهذا كلام قديم؟. اليوم يمكن أن يغرق مريض طبيبه لو كتب له (دايكلوفينال). ولسوف تكشف الصحف صفحات كاملة عن مسلسل الجهل لدى الأطباء.. يا له حلي أسس تقرأ وتستعد

لأن صارت مشكلة المواطن المصري مزدوجة: اللقاح قاتل ويحدث شللا. سعيد غير متوفر ويُعطى للمحظوظين فقط!! هذا [illegible] كذلك قصيرة.. قصيرة جدا!

هذه عشرات المشاكل تواجه مصر اليوم، بدءا بـ[illegible] مرورا بمياه النيل والتعليم والبطالة.. وانتهاء بأنفلونزا الخنازير [illegible] كل شيء ويشك في كل شيء. هذا الخطر هو النشر غير المسؤول أو الجاهل أو معدوم الضمير

لا تكن ساذجًا

عندما كنا طلابًا، مشيت مع صديقي هذا في الكلية نتبادل عبارات المزاح.. كان في حالة من الانبساط والرغبة الشيطانية في العبث. عندما دنا منا ذلك الطالب المذعور يسأل عما إذا كانت نتيجة البكالوريوس قد علقت.. قال صديقي: "لم تعلق بعد.. إنهم يقومون بتصغيرها!" نظر له الطالب في عدم فهم. فقال صديقي في غموض: "ألم تفهم بعد؟.. ابنة العميد ضمن الطلبة. لا تكن ساذجا كطفل! افهم!". أطلق الطالب المذعور سبة على غرار "أدب بلد الـ..". وانصرف يجري كالمجنون، بينما انفجر صديقي ضاحكًا. لقد ولدت إشاعة قوية سوف تحتاج لوقت طويل حتى تتلاشى، ولسوف يرددها الجميع ناسين أن العميد – وقتها – ليس له أولاد

خلاصة لم أعد أتحمل مزيداً من نظرية المؤامرة. بلغت روحي الحلقوم، فلم أعد أطيق أن أرى واحداً من هؤلاء الأذكياء الذين يضيقون عيونهم ويحدقون في غموض، ويقولون: "لا تكن ساذجاً.. كل شيء مؤامرة.. كل شيء تم التخطيط له من قبل وليس كما يبدو". نظرية المؤامرة لذيذة جداً، وتشعرنا بالتفوق على الآخرين السطحيين. المطر ينهمر من السماء فيبتسم في خبث وذكاء ويقول: "البلهاء يعتقدون أن هذا مطر طبيعي.. لا يعرفون أنها مؤامرة من الحكومة الأمريكية". وتستطيع في مسرح مرحي مطلق كالذي يعيشه العالم العربي ترديد نظريات وتحليلات وجرائم نظرية المؤامرة جداً، حتى أنك قد تصاب بنوبة لو وضعت نظرة على مقدمة التحديات الحقيقية. ولا أكثر طرافة من أن تكتشف ويستنكر صاحب النظرية لأنه جعلهم يعرفون ما كانوا يجهلون.

منذ أعوام سادت العالم العربي نظرية حمقاء عن أن الأمريكان لم يصلوا للقمر قط، وأن ناسا تلعب أكبر خدعة في التاريخ، وقد تبنى كثيرون في العالم العربي هذه الإشاعة حتى سادت الشائعة أحـ

تقضي بأن لويس أرمسترونج – أول من مشى على القمر – سمع صوت الأذان على القمر ثم سمعه بعد عودته للأرض فأسلم على الفور. وبالطبع تتكتم الحكومة الأمريكية هذه القصة. الطريف أن ذات المنتدى يضم الرأيين معاً غالباً. ترى هل مشى أرمسترونج على القمر فأسلم، أم لم يصل أحد للقمر أصلاً؟!.. والأطرف أن صاحب الموضوع لابد أن يكتب قائلاً: "نحن العرب سذج نصدق كل شيء ونبتلع الخداع!". هذا كلام دقيق جداً، لكن ليس بالطريقة التي تريدها يا صاحبي..

إن الإشاعة ناسا شهيرة على كل حال، وقد بدأت ببرنامج سخيف قدمته قناة فوكس الأمريكية عام 2001 يرى من قدموا البرنامج أن صور الهبوط على القمر تم تصويرها في ستوديو في قاعدة جوية في (سان برناردينو). مثلاً المقذوفات لا تشبه على زجاج قناع رواد الفضاء يوحي بوضع معكوس للعلم الأمريكي غير موضح لدى عرس فيه فعلاً. العلم يرفرف مع النسيم فكيف يوجد نسيم على ظهر القمر؟!. لا توجد أية نجوم في أية صورة التقطتها ناسا برغم أنه من المفترض أن تزدان السماء بها حتى غادرت غلاف الجوي يقول

يدعون عن ناسا أن هذا منطقي لأن ضوء الشمس يغمر سطح القمر ويحجب أية نجوم، والأمر يشبه خروجك من غرفة ساطعة الإضاءة إلى الليل.. عندها لن ترى أي نجم. قال المشككون إن آثار المركبة القمرية واضحة ومحددة أكثر من اللازم، ولابد من خلط التربة بالماء لإحداث أثر كهذا. الإجابة هي أن التربة القمرية ناعمة جدا كالدقيق تلتصق بالأحذية وترسم أي شكل يضغط عليها من دون ماء.

كيف لم تحدث المركبة ثقبا تحتها عندما لمست تربة القمر؟ الإجابة هي أن مساحة القاعدة التي تمس التربة عريضة مما أدى لتوزيع الضغط وبالتالي فإن الضغط عليها لا يتجاوز وزن رائد الفضاء ذاته. لذا فإن عدم وجود ثقب هو أقرب للتصديق من وجوده. بوسع المتلقي المشاهد أن يصنعوا واحدة.

قال المشككون إن أحد الجبال عليه حرف C بشكل واضح وإن هذه علامة يضعها صاحب (اللقطة) كما يسمون (الديكور) على ظهر الكرسي عندنا.. الحقيقة أن هذا الحرف لم يوجد في الصورة الأصلية التي صورت منذ ثلاثين عاما، بل في النسخ المستخدمة منها فهو مجرد عيب تحميض. أما النقطة الأهم التي يكررونها في كل

مقالاتهم تقريبا فهي: كيف استطاع رواد الفضاء اختراق حزام (فان آلن) الإشعاعي القاتل المحيط بالأرض؟.. الإجابة هي أنهم تجاوزوه مرتين فقط أثناء الذهاب وأثناء الرجوع، وتكون سرعتهم ... ألف ميل في الساعة لهذا يتعرضون له أقل من ساعة، وهذا لا يعني إلا إصابتهم ببعض الغثيان.

يتساءل البعض: لماذا لم ترسل ناسا رجلا آخر للقمر منذ عام 1972؟ الإجابة هي أن العملية كانت مكلفة وخطرة.. وقد أرسلت ناسا 12 رجلا بالفعل، وثبتت أنها قهرت الاتحاد السوفيتي. هذا يكفي. خاصة أن تنفيذ نفس المهمات اليوم سوف يكون باهظا جدا بحساب التضخم.

من ضمن ما يقال كذلك أن عشرة رواد ماتوا أثناء مشروع أبوللو بظروف غامضة لا تفسير لها في مركبات أو طائرات ... قالوا إنها حوادث متعمدة كي لا يتكلموا عن الفضيحة التي لمسوا أبعادها. السؤال هنا هو: لماذا تفعل ناسا هذا؟ وما مصلحتها؟.. يجيب المشككون أن الهدف بسيط جدا. لكي تحصل على 30 مليار دولار من أموال دافعي الضرائب. ثم أن الحكومة الأمريكية كانت تعاني الويلات في فيتنام

لقد أردت أن تشغل الناس بموضوع آخر، ولو لاحظت التواريخ لوجدت أن تاريخ الخروج من فيتنام يتزامن مع توقف رحلات الهبوط على القمر بعد أبوللو 17. دعك من رغبة الحكومة الأمريكية في قهر السوفييت الذين كانوا يعملون بحماس مجنون للهدف ذاته. لهذا اخترعت هذا الهبوط لتدعي التفوق عليهم.

هذا سبب اضطرابات عقلك. صدام لم يقبض عليه.. صدام قبض عليه في زمن غير الذي أعلنوه بديل البلح. صدام لم يعدم وإنما أعدم البديل (هناك كتاب كامل سخيف عن هذا الموضوع على كل حال عند عم مدبولي يرحمه الله). قتل بن لادن ليس قتل بن لادن.. وكل من يقبض عليه في أية جريمة ليس هو الفاعل. ياسر عرفات ليس مريضا بل هي خدعة.. الفراعنة لم يبنوا الأهرام وإنما قوم عاد.. مايكل جاكسون هو جيمس لكن الحكومة الأمريكية تحمي ذلك.. فيروس سي أكذوبة ولا وجود له وإنما اخترعته شركات الإنترفيرون.

لكن أصحاب نظرية المؤامرة لا يتعبون ولا يخجلون.. سوف ينسون هذا الموضوع ويبدءون في تبني نظرية جديدة.. شعارهم هو لا

تكن ساذجا.. أنت أذكى من ذلك. كما ترى فالغرب يملك نظريات مؤامرة مثلنا. لكنه يتعامل معها بحجمها الحقيقي ولا يجعلها أسلوب حياة كما نفعل نحن. لكننا بالفعل نعاني مشكلة مع الذكاء واحتكار الحقيقة

القسم الثالث

وفيه حديث طيب كالعنبر

[illegible]

(سلام بومباي) بشكل آخر

لأسباب تتعلق بي أنا. لم أستطع أن أحب فيلم (رحلة الغريبة لبنجامين باتون) كما أحبه الجميع تقريباً، لأنني شعرت بأنه مفرط الطول وأنه صمم بالقلم والمسطرة كي يحصد جوائز الأوسكار.. مثلما يقرر الشاعر أن يكتب قصيدة رقيقة فيحشد كل كلمات (الربيع) و(الندى) و(الشفق) و(عبير) في بيت واحد. ثمة شيء ما غير أصيل ولم أرتح له. بينما شعرت أن فيلم (مليونير العشوائيات Slumdog millionaire) يموج برائحة الصدق والعرق والوحل وروائح أخرى لا داعي لذكرها. يبدو أن الأكاديمية التي تمنح جوائز الأوسكار اتفقت معي في الرأي فنال (مليونير العشوائيات) ثماني جوائز أرى أنه يستحقها فعلاً.

هل يمكن أن تصنع فيلما جميلا عن الفقر؟ . هذا ما راهن عليه (داني بويل) وهو ذات ما صنعه (محمد خان) عندما [illegible] هند وكاميليا). لقد رأيت من قبل فيلم داني بويل (مراقبة القطارات) الذي رأى ايرلندا كما لم يرها أحد من قبل. وقد قدم لنا قاع قاع [illegible] المجتمع..

من قاع قاع المجتمع الهندي يبدأ فيلم (مليونير العشوائيات) الذي كتب عن رواية للكاتب والدبلوماسي الهندي (فيكاس سواراب) وأعد له السيناريو السيناريست البريطاني (سيمون بوفوي). الفيلم يتحرك بطريقة شائقة بين الماضي والحاضر والمستقبل.. والمستقبل لن يظل كذلك فلابد لأن الحاضر سيسبقه . لكن كل هذا اللعب الزمني مفهوم وسلس وخال من استعراضات العضلات الفكرية كالتي رأيناها في فيلم (بابل) هذا الاستعراض الذي تشعر بأن غرضه أن يشعر المشاهد بأنه – البعيد – غبي بطيء الفهم

المحور الرئيس حتى قرب النهاية هو التحقيق الذي يجريه ضابط شرطة هندي مع الشاب (جمال) أي الممثل الهندي (ديف بيتل).. الشاب الفقير الذي يعرف الجميع أنه نشأ في العشوائيات

والذي لا تسمح إمكانياته الثقافية ولا العقلية بالكثير. نرى الكثير من التعذيب على الطريقة المصرية.. الفتى يتلقى علقة ممتازة في قسم الشرطة تنتهي بتوصيله بالصعق بالكهرباء.. ربما لهذا نشعر بألفة كلما رأينا الأفلام الهندية، فالعالم واحد والفقر واحد والمشاكل واحدة. ومعاملة الشرطة واحدة.

نفهم من الحوار أن الفتى يتم استجوابه لأن الشرطة متأكدة من أنه يغش بطريقة ما في برنامج (من سيربح المليون؟) الهندي. الفتى يجيب إجابات صحيحة بطريقة مذهلة. ويتقدم نحو جائزة عشرة ملايين روبية ويتجاوزه نحو العشرين مليونا، لهذا صار رجال الشرطة على يقين من أنه يغش [illegible] هناك من يرسل له اشارات وسط الجمهور أو هو زرع جهاز اتصال في جسده..

ما يدعم شكوك ضابط الشرطة هو أن الفتى يجهل أشياء بديهية فعلا يعرفها أي طفل في الخامسة، مثل الكلمات المكتوبة على العلم الهندي أو الصورة الموجودة على العملة الهندية. هنا يسأل الفتى الضابط عن سعر نوع من الحلوى الهندية الرخيصة. فلا يعرف.. يسأله من سرق دراجة الصبي فلان؟. لا يرد الضابط

فيجيب الفتى في سخرية: كل طفل في (داراڤي) يعرف الإجابة!

هنا ينطلق الفيلم من فرضية مثيرة. هي أن حياة الفتى المعدمة ومرمطته في أزقة (بومباي) لقنته الإجابات الصحيحة.. لقد كانت الأزقة هي مدرسته الحقيقية. ولهذا استطاع أن يجيب لكل الأسئلة طبقاً لفرضية غير معقولة. لأنه لا أحد يملك حظاً كهذا لحد الذي يجعله يجيب عن كل الأسئلة. لكنك تقبل هذا من منطلق قاعدة (التعطيل الإرادي لعدم التصديق) التي اخترعها الخواجه كولريدج. و قاعدة (دعني انخدع – دعني انخدع) التي اخترعها بعد ذلك.

يحكي الفتى قصة حياته بالتداخل مع مشاهد من برنامج (من سيربح المليون) نفسه.. نسمع الأسئلة وسخرية مقدم البرنامج المغرور وتطرفه، خاصة عندما عرف أن الفتى (شاي والا) – (ولد شاي) – مهمته تقديم الشاي للعاملين في شركة اتصالات كبرى.

ثم نرى رد فعل الفتى الذي يستحضر من خبرات الماضي تجربة كانت لها علاقة بالإجابة.. مثلا السؤال عن الصورة التي

يرسم بها الهندوس الرب (رام).. ماذا يمسك به في يده اليمنى؟..
هنا يتذكر الفتى طفولته وهو يلعب في النهر المتسخ بينما أمه تعمل.. ثم يهجم على الحي مجموعة من الهندوس البلطجية ليفتكوا بالمسلمين. تتلقى أم الفتى ضربة قاتلة على رأسها وتسقط في الماء. بينما يفر (جمال) وأخوه. هنا يجدان أمامهما واحداً من الهندوس صبغ نفسه بالأزرق ليبدو مثل الإله (رام).. مشهد لا يمحى من ذاكرته أبداً.. طبعاً في يد (رام) اليمنى قوس وسهم..

الإجابة الصحيحة هي: قوس وسهم.. وهكذا تتوالى الإجابات مع مقدم البرنامج الخبيث المراوغ (أنيل كابور) الذي يتلاعب بأعصاب الفتى ليخسر.. مثلا الفتى يتذكر أفلام الممثل (أميتاب باتشان) كلها، والسبب أنه كان مجنوناً به في طفولته [illegible] المنطقة العشوائية قرب المطار ترى هبوط طائرة (أميتاب) من ثم يهجم الجموع بين الفقراء ويهرعون ليروه.. ولع الصبي يؤدي به لغمرة نفسه حتى يغوص بالكامل في حفرة من الفضلات البشرية ويخرج مكسواً بها ليطلب توقيع (أميتاب) على صورة له.. من الواضح أن الغوص في الفضلات البشرية تيمة مفضلة عند (داني بويل)، لأنه

يصور في فيلم (مراقبة قطارات) رجلا يغوص في مرحاض مليء يبحث عن أقراص مخدرة. ويتحول الامر لحلم فنتازي من السباحة وسط الفضلات!!

هكذا تلوي الأسئلة التي يحلها لتي بمعجزة... وبخبرات طفولته فقط. مع الأسئلة نرى بانوراما كاملة لحياته وصراعاته وقصة حبه الأبدية مع فتاة شوارع مثله اسمها (لاتيكا). كان مصيرها محددا بالطبع. كل الأطفال يتسولون. يكبر الصبيان فيصيرون لصوصا وبلطجية. وتكبر البنات فيصرن عاهرات.

نكتشف هذا كله بينما ثلاثة خيوط لا تتوقف عن النمو وتتداخل وتتعقد مع بعضها.

1- خيط التحقيق في قسم الشرطة ومحاولة انتزاع [illegible]

2- خيط حياة الفتى وعلاقته بأخيه والبحث عن حبيبته التي غاصت في أمواج المدينة.

3- خيط البرنامج نفسه مع مقدمه الخبيث الذي يحاول إقناع الفتى أنه في صفه. وهو يخدعه. وفي النهاية يشكوه

للشرطة متهمة الغش في البرنامج ومن هنا نعرف لماذا بدأ الخيط الأول.

تتصاعد الاحداث. فلا داعي لسرد كل شيء.. هناك فقط خطأ في السيناريو لن نتوقف عنده طويلا (عندما قال في التحقيق إنه لم ير أخاه قط بعد الفراق في الفندق) فقط ينتهي الفيلم بمشهد استعراضي ضخم على محطة القطار، هو نوع من التحية للسينما الهندية التجارية (بوليوود) كما يسمونها. لكن ما أبعد الفرق بين هذا الفتى النحيل الهزيل وفتاته السمراء الواهنة، وبين أبطال بوليوود المفعمين صحة ورجولة وجمالا. من المستحيل أن يظفر هذا الشاب بالبطولة في فيلم هندي تجاري

هذه هي الهند الحقيقية. الهند التي لا نعرفها نحن.. الهند كما لم تصورها الكاميرا من قبل. بلد مليء بالفقر والجريمة والبؤس لكنه برغم ذلك ساحر. يمكنك في لحظات كثيرة أن تتنهد ارتياحا لأننا لا نعيش في هذا الفقر الصادم الموجع. على فكرة لم أعرف من قبل أن عشرين مليون روبية تقترب من نصف مليون دولار.

يصنع أثر الفيلم الكثير من الاحتجاج في الهند لأنه يظهرها بطريقة فاضحة غير سياحية بمرة، واحتج الهندوس على إظهارهم كوحوش، هناك جانب من الحب مرفوعة عنه. لكن هذا كل شيء من المستحيل أن نتصور أن يقدم هذا الفيلم في مصر أصلا سواء قدمه مخرج مصري او بريطاني، ينطلق الرقابي عندنا ليس هذا الفيلم سوى حملة تشويه ساعية لنشر الغسيل المتسخ

من ناحية أخرى لا أعرف لماذا لم يتذكر أحد تشابه هذا الفيلم الشديد مع (سلام بومباي)، وهو فيلم جميل آخر قدمته عام 1988 المخرجة الهندية الشابة (ميرا ناير) التي يسبب كل فيلم لها عاصفة من الجدل. في ذات الفيلم أطفال شوارع في (بومباي) وقصة حب بين طفل شارع و[illegible] تستطيع أن تتحول إلى عاهرة خصوصية لأحد الأثرياء. لا أعرف لماذا نسيه الجميع

(مليونير العشوائيات) فيلم ممتع ولاهث الإيقاع، فلا تشعر لحظة بأنك جلست متسمرا أمام الشاشة ساعتين. كل هذا مجدول بالأغاني الرائعة لـ(ا. ر. رحمن) الذي استحق بحق جائزتي أوسكار عن الموسيقى التصويرية وعن أغنية. تصوير فائق الجمال

يتعامل مع القبح والقذارة بعذوبة شديدة لا تعرف كيف، ويعتمد كثيرا جدا على الكاميرا المحمولة باليد

من الطريف أن بويل يعترف بأنه رأى الكثير من أفلام بوليوود إياها ليتعلم طريقتها في التعامل. وقد أخذ السيناريست الكثير من خيوط أشرار بوليوود لينسج بها شخصيات الأشرار في فيلمه، كما أخذ خيوطا مهمة من فيلم هندي بوليسي اسمه (ديوار). حتى طريقة بوليوود في التعبير عن مرور السنين نفسها، حيث يثب الشقيقان من الطفولة فإذا هما بلحظة السقوط قد تقدما سبع سنوات في العمر.

باختصار: لو ابتلعت منطق أن خبرات الفتى في معلوماته تكفي [illegible]

ولسوف يروق لك ...

أفاتار: الرقص مع الذئاب الفضائية

لا يمكنك أن تحتفظ برأي محايد تجاه فيلم أفاتار. فإما أن تهيم به حباً وتعتبره قصة من الشعر المرئي، أو تمقته وتعتبره تافهاً لا يستحق هذه الضوضاء. بعد دخول الفيلم كتبت هذا المقال [illegible] خلاف [illegible] بين مخرج [illegible] جيمس كاميرون ومخرج [illegible] (ام نايت شيامالان) الذي كان ينوي تقديم فيلمه الجديد بذات العنوان. [illegible] معقد مرتبط جداً بعقيدة تناسخ الأرواح، لكنه في هذا الفيلم يرمز للكائنات [illegible] التي [illegible] الأمريكي [illegible]

على كوكب له هواء سام وبيئة معادية

أما عن الفيلم نفسه

أولاً: يجب التفرقة بين فن السينما وبين التقنيات التي يتم بها تحسين هذا الاختراع. والعرض في النهاية إغراء المشاهد بالخروج من بيته للذهاب لدار السينما. يعني يغادر بيته الدافئ ويبحث عن [illegible]، ويفتش عن الحذاء تحت الفراش، ويخترق زحام الشوارع، ثم يبتاع تذكرة غالية – ثمنها ثمن كيلو لحم في حالتنا هذه – ليجلس في مكان واحد لمدة ثلاث ساعات تقريباً. من أجل هذا العرض ظهرت التقنيات المختلفة التي لن يقدمها التلفزيون أبداً، مثل السينراما والأيماكس.. وفي مصر رأيت فيلم (الزلزال) يعرض بطريقة (سنسور ساراوند) التي كانت تهز دار السينما هزاً لدرجة أن الغبار كان يتساقط من سقف السينما على رأسي. في الخمسينات كانت في الخارج تجارب الـ Smellies أو الأفلام ذات الرائحة، والتي تتلخص في أن يفتح المشاهد كراسة صغيرة مرقمة ليشم رائحة معينة حسب المشهد، كما كانت هناك أسطوانات تضخ الروائح في صالة السينما. بعد هذا ظهرت تقنيات التجسيم التي شهدت فترات من الظهور

والتراجع. كل هذا لا علاقة له بفن السينما ذاته. ولكنها أشياء مزيد لإبهار وتخفي الحقيقة إلى حد ما. ومضاعي عنها انها فقرة من فقرات ملاهي في النهاية. لا تختلف عن (السيميولاتور) او (مسرح المحركة) الذي تدخله في دريم بارك أو ماجيك لاند. معظمنا رأى السيمولاتور ولم يكلم عن جودة سيناريو وتصوير وإخراج الفيلم المصاحب له لأن المؤثرات هي الهدف.

بعد عندما عرضت الافلام المجسمة في مصر في سينما ريفولي، ورأينا (بيت الرعب المجسم) و(هجوم على المتفرجين) و(الأصدقاء الجوسيس) .. الخ.. لم تكن افلاما جيدة على الإطلاق كانت القصة مجرد ذريعة مصممة بعناية بحيث يقذف الابطال اشياء على الجمهور طيلة الوقت، وتنفجر النيران او المياه في وجوههم. بالذي هي مجرد فقرات ملاه لا أكثر. دعك بالطبع من الصداع الذي يهشم رأسك طيلة اليوم التالي.

فيلم (أفاتار) ثلاثي الأبعاد.. وقد نجح بالفعل في أن يأخذك من يدك ليلقي بك في قلب هذا العالم الغريب (باندورا). اعتقد أن الأبعاد الثلاثة كانت موفقة جدا خاصة مع شريط الصوت المبهر. في

بعض المشاهد كنت تسمع الأصوات من خلف كتفك. وكانت السهام تضرب سقف السينما. لكن هذا يعني كذلك أنه لا وجود له بعيدا عن شاشة السينما.. سوف يتلاشى ويضمحل.. لا يمكن ان تراه في التلفزيون لانه سيبدو أضعف من أية حلقة من مسلسل ستار تريك.

ثانيا: قصة الفيلم ليست خارقة وليست تحمة فنية. القصة بسيطة جدا اشتقاقية تذكرك بعد دقائق بـ (يرقص مع الذئاب) جندي أمريكي مارق يتعرف حياة البدائيين فيكتشف أن لهم حضارتهم الخاصة الثرية، وأنهم ليسوا بالتخلف الذي حسبه، ويتعلم الكثير جدا منهم. بعد قليل يقع في الحب مع واحدة منهم، وفي النهاية يحارب قومه معهم. هناك عملية جلد ذاتي للعسكرية الامريكية ولربما تذكرنا العراق وافغانستان إلى حد ما، مما يضفي على الفيلم لمسة سياسية لا بأس بها. لكن يجب الاعتراف بأن هناك الكثير من المباشرة في الحوار.. "اصحاب الأسهم يكرهون الموت [illegible] سيت اسمها تحت الشجرة الأم لذا لابد من تدميرها غير مبالين بمشاعر هؤلاء. والجنرال فظ بطريقة مبالغ فيها يقف في الطائرة

المهجمة يشرب القهوة ويلدد بالقصف و(أول دورة كئوس الليلة على حسبي) حوار مباشر جدا يذكرني بالمسرحيات الوطنية التي كانت تورع مع مجبة بناء لصين' (انا شرير وراسمالي لذا احارب البروليتاريا وقوى لشعب لعدلة البطلة)

من أجل هذه لنقطة بالذات لم يخل الكثير سعداء بالفيلم. وعندما ترقب وجوههم بعد العرض تشعر بانهم خدعوا بشكل ما. وهذا يقودنا لاستنتاج مهم هو أن الناس مختلفون في تقييم التجربة لبصرية . هناك من يعجب في الصدمة، وهناك من يضع الصحة في الصدمة

ثالثا: الفيلم يثير قضية اخلاقية مربكة نوعا.. هل بطل الفيلم يعتبر بطلا فعلا؟.. وبأية مقاييس؟.. مقاييسنا ام المقاييس الصهيونية؟ . لقد حارب قومه وأحرق مضاربهم، فلماذا لا نعتبره خائنا ؟ وهل مفاهيم الإنسانية تسري على اهل ذلك الكوكب وهم ليسوا بشرا أصلا؟.. عندما تشاهد الفيلم ستكون الإجابة محسومة في صالح أهل الكوكب. لكن هل الأمور بهذا الوضوح دوما؟.. لو قام طيار عربي بقصف مدينة إسرائيلية، فهل من الطبيعي والمستحب أن

يتمرد ويقتل زملاءه العرب ؟

رابعا: جرعة الإبهار البصري في الفيلم لا تصدق ولا يمكن وصفها أو التعبير عنها. لن تصدق أن هذا قد تم عمله في الستوديو وأن هناك بشرا وراء هذا كله. كل عود نبات وكل شظية مشتعلة وكل نبتة زهرة تحت السيطرة الكاملة وعوملت بعناية تامة. ان الفيلم قد حرك سقف الابهار البصري إلى آفاق جديدة بحيث تزداد المهمة [illegible] يستطيع فيها القادمون اضافة جديد وعندها يعلق الناس سأمهم. لو قدم فيلم (ماتريكس) اليوم لبدا لمن رأى أفاتار تافها بدائيا. إن المشاهد يتحول بالتدريج الى طفل مذهول رأى كل شيء ولا يمكن ابهاره أبدا. بشكل خاص انبهرت بمشهد الليلة الاولى للبطل على الكوكب عندما هاجمته الوحوش، وعندما نكتشف أن كل النباتات تضيء ليلا. وركوب ذلك الديناصور المجنح في السماء. والمعارك الحربية [illegible]

الصغيرة العصبية التي تخرج من الرءوس كان سحر .

الخلاصة بعد كل هذا الكلام المضطرب الفيلم تجربة بصرية

بلغة الثراء. لو كنت تنوي مثلي الاكتفاء بهذا و لاستمتاع برحلة في صاروخ اللاهي تنقلك إلى كوكب آخر كل شيء فيه غريب. فلا تتردد لحظة.. الفيلم قد صنع من اجلك. أما لو كنت من هواة القصص المحبوكة ومن سرق لمستفيد من من، ومن يحبي الميكروفيلم في ضربه، فالفيلم لا يناسبك ومن الافضل أن تحتفظ بالخمسة والأربعين جنيها لحبيبة في جيبك لأنها لن تعود للابد.

فالس مع البشير:

صبرا وشاتيلا بعيون إسرائيلية

من الفرص النادرة أن تتاح لك مشاهدة فيلم اسرائيلي لتعرف كيف يفكر هؤلاء القوم، والأغرب أن يكون عن مذبحة (صبرا وشاتيلا) [illegible] اهتماما واعتبرته نوعا من احتفال اسرائيل الدائم بذاتها. مع الحماس الغربي المعهود لكل ما هو إسرائيلي. لكن أتيحت لي [illegible] [illegible] لهذا الحد بفيلم صنعه أعداؤنا. وإن خفف من هذا الشعور إدراكي أنني أشاهد نسخة غير قانونية (بالعربي: مهبوشة) أي أنني لم

أسهم في تمويل صنع الفيلم بمليم!.

الفيلم الذي عرض عام 2008 تسجيلي، لكنه يحمل الكثير من التخيل الروائي الذي يرتقي به لدرجة الشعر. وقد أخرجه مخرج (آري فولمان) بطريقة الرسوم المتحركة واستغرق العمل فيه أربع سنوات. التحريك خشن نوعا لكنه فعال، وهي الطريقة القديمة: إن لم تستطع منافسة ديزني – وهذا مستحيل – فكن نفسك. من شاهدوا فيلم (مواجهة المصير) للينكلتر سوف يلاحظون تشابه شديد في الأسلوب. طريقة الرسم تذكرك بالأفلام التي تعتمد على تحويل صور أشخاص حقيقيين إلى رسوم. وهي الطريقة التي تدعى (روتوسكوب Rotoscope). لكن صناع الفيلم لم يفعلوا ذلك بل ابتكروا طريقة تحريك خاصة بهم على الكمبيوتر.

عرض الفيلم في مهرجان كان الفرنسي مرشحا للسعفة الذهبية، ولم ينلها لكنه نال حشدا من الجوائز في مهرجانات عدة وأرى أنه يستحقها. كما نال جائزة الكرة الذهبية كأول فيلم تسجيلي يناله في التاريخ. كما رشح للأوسكار في فئة الأجنبية لكنه لم ينل الجائزة.

كل الفيلم يحمل لمسة لونية وصوتية قاتمة كابوسية تجثم على الأنفاس وتشعرك بالحزن والاختناق. يبدأ الفيلم بصديق للمخرج – يظهر بشخصيته المرسومة – كان جنديا معه عام 1982 في لبنان، واليوم يأتيه ليشكو من كابوس غريب. هناك ستة وعشرون كلبا تطارده في شوارع المدينة عازمة على تمزيقه.. لماذا ستة وعشرون وليس ثلاثين مثلا يا أخي؟ يقول صديقه الجندي إن السبب هو أنه قتل فعلا 26 كلبا في الحرب.. كان عاجزا عن قتل البشر لذا كلفوه بقتل كلاب القرى التي ستنبح فتنبه الفلسطينيين بقدومهم.

هنا يفطن (فولمان) إلى أن لديه كابوسه الخاص.. إنه عاد لتوه مع مجموعة من الجنود الإسرائيليين العراة يسبحون في الظلام في البحر ويخرجون أمام ساحل بيروت بصدقة الصخرة.. الأدهى أنه لا يذكر حرفا عن تلك الحرب ولا ما جرى في صبرا وشاتيلا. لقد مُحي هذا الجزء من ذاكرته تماما، لذا يقرر أن يقوم برحلة للبحث عن ذاكرته الضائعة بين زملاء الحرب.

يقوم ببطء بجمع أجزاء الصورة الشنيعة من ذكريات أصدقائه، والبحث عن الخيط يستدعي السفر لهولندا للقاء صديق

قديم صنع ثروة من بيع أنفاق هناك. أو لقاء طبيبة نفسية تحدثه عن فقدان الذاكرة للجنود، وكيف أن كثيرا من الجنود ينجون [illegible]

من [illegible]

منهم هناك. مجموعة من الجنود المراهقين يدخلون أرضا معادية وهم يغنون. يغنون بوكرتوف (صباح الخير يا لبنان) في شارة واضحة لحرب أمريكا في فيتنام. ثم يصيرون مذعورين لدرجة انفلات أعصاب كامل، حتى أنهم يعبثون داخل الدبابة ويطلقون الرصاص بحرارة في كل الاتجاهات طيلة الليل. ويسأله زميله وهو يطلق الرصاص:

-"على من نحارب ؟"

فيرد

-"لا أعرف.. أطلق الرصاص وكفى ."

-"أليس من الأفضل أن نصلي ؟"

-"صل بسرعة ثم أطلق الرصاص! "

يمطرون سيارة مرسيدس بطلقاتهم حتى تتحول لمصفاة، ثم

يكتشفون أنه لم يكن فيها سوى أسرة كاملة. دبابة صديقة تتفجر وزملاؤه يموتون بينما يتوارى صديقه مذعورا خلف صخرة.. ويراقب الفلسطينيين بينما أحدهم يتبول فوق جثة إسرائيلي ملقاة على الرمال.. هذا أول فلسطيني يقدمه الفيلم لنا. ويمر ذلك المجندي ليسبح ليلة كاملة في البحر المظلم الهائج إلى أن يبلغ زملاءه.

هناك مشهد للجنود يمشون في شارع في بيروت حيث يحصر بهم مجموعة من القناصة الفلسطينيين. وصحيح أن حرب لبنان الأولى لم تكن نزهة لهم كما نعتقد.. وسط الشعارات المبهمرة يحمل أحد الإسرائيليين القرابيور أو الـ MAG ويطلق الرصاص في جنون وشبه انتشاء وهو يتلوى، بينما صور الرئيس اللبناني بشير الجميل تملأ الحلبة، ويدوي لحن فالس يوحي بأنه يرقص. هذا هو مصدر عنوان الفيلم. وبالطبع هذا تبسيط واضح من الفيلم الرائع (يرقص مع الذئاب)

صامتون.. مذعورون.. فاقدو الهدف.. هكذا يقدم الفيلم الجنود الإسرائيليين، أكثر ما يسعدهم قضاء ليلة في قصر لبناني فخم تركه سكانه، وقائدهم يقضي الليل في مشاهدة فيلم بورنو فاضح

على الفيديو وهو لا يصدر امرا سوى: "أسرع بتقديم الشريط.. اسرع بتقديم الشريط". ونعرف [illegible]
لحبيب [illegible] يتمنى أن يموت في الحرب كي [illegible] لها عهده [illegible]

يصل الفيلم لنهايته.. لقد تم اغتيال بشير الجميل، وهو بالنسبة لحرب الكتائب شخص اسطوري.. رمز.. يقول صديق المخرج: "لقد كانوا يحبونه لدرجة التقديس.. لا.. بل لدرجة الاشتهاء الجنسي!".. مات الجميل وقرر رجال الكتائب الانتقام من الفلسطينيين متهم الاول باغتيال الرجل. هكذا يرينا الفيلم التواطؤ التام بين رجال الميليشيات المسلحين بقيادة السفاح (ايلي حبيقة)، وهم يدخلون المعسكر تحت حراسة اسرائيلية كاملة.. كل اسرائيلي يعرف تماما ما سيحدث. لكنهم يجلسون على الدبابات يراقبون ويطلقون طلقات مضيئة طيلة الليل لتكشف كل ركن في المعسكر. فقط من حين لآخر يتصلون بشارون ليخبروه ان مذبحة مارية تدور [illegible]

يراقبون أسرة كاملة تقف ووجهها للجدار بينما مسلحان يفرغان الرصاص في أفرادها. يرون مسلحا يقتاد عجوزا إلى بيت ثم يسمعون طلقات ويخرج المسلح. يسألونه عما يحدث فيشرح لهم بالإشارة أنه أفرغ رصاصتين في رأس العجوز لأنه رفض أن يسجد امامه. يراقبه الجنود في لا مبالاة مع لمسة شمئزاز بسيطة. السيارات تنقل الأسر الفلسطينية للاستاد ثم تعود خالية. لا يحتاج المرء لذكاء كبير كي يعرف ما جرى لحمولة هذه السيارات.. ويتذكر المخرج نفسه في سن التاسعة عشرة وهو يطلق القنابل المضيئة طول الليلة لينير للسفاحين أرض مذبحتهم.

استمرت المذبحة حتى الصباح، وفي النهاية جاء قائد إسرائيلي ملول ليطلب من الكتائب الرحيل بمكبر الصوت.. هكذا [illegible] مكبر صوت!. يقرر (فولمان) أن يدخل المعسكر ليرى الهول الذي صنعوه..

الجثث مكومة في كل مكان.. ارتفاعها يصل لكتفي الرجل الواقف.. جثث أطفال ونساء وشيوخ. الرائحة لا توصف..

لذباب...

ثم نرى لقطات تسجيلية حقيقية بمعظم الفرنسيون للنساء الصارخات، وولولات يبحثن عن الزوج / الأخ / الابن / الأب وسط الجثث، مع العبارة الشهيرة: "وين العرب! .. وين؟"

ويظلم المشهد ثم تتصاعد التترات.. إنه ليس كابوساً سيصحو منه وسيهدأ بل هو الحقيقة المرعبة. لقد عرف فولمان لماذا فقد الذاكرة طيلة تلك السنوات. إنه اعتراف كامل بالصوت والصورة بصدمة العالم. لعله يتخلص من ذلك الكابوس الذي لم يفارقه طيلة عشرين عاماً. أنت شجاع وموهوب يا فولمان لكن هذا لن يعيد لأطفال صبرا وشاتيلا – ومعهم ثلاثة آلاف شهيد – حياتهم.. لهذا لن تفوز بالأوسكار أبداً.

قرص مهدئ قبل المشاهدة *

يمكنك أن تكره الولايات المتحدة لكن ليس بوسعك تجاهلها. تذكرت هذه الجملة التي قالها ناشر أمريكي كبير لمحمد حسنين هيكل وأنا سهران في تلك الليلة السوداء أنتظر أن يبدأ حفل الأوسكار. وسط زحام الإعلانات ومجموعة من الشباب تلتقي بنجم ما في مول مصري ما. يصرخون في الكاميرا: أووووه أوسكار!.. هكذا كل ثلاث دقائق كأن هذا أظرف شيء في العالم.

في الثانية صباحاً – ولما يبدأ شيء بعد – سألت نفسي بصراحة: ما جدوى هذا التعذيب؟.. لا أتوقع سوى بعض اللقطات

* حفل الأوسكار لعام 2009

والدموع والصفير والمظاهر بالشر والـ (ووه) والـ (واو).. وذات مجموعة الأوغاد النرجسيين التي أراها منذ كنت في الكلية. لكن المناسبة كانت فوق مني.. أريد أن أعرف هل سأل المصري الراحل (هيث ليدجر) جائزة الأوسكار عن أدائه المذهل في (الفارس الأسود)!. وماذا عن أداء (سلام دوج مليونير)؟. كم جائزة سوف يحصد الفيلم بجميل الفن قليلا (الحالة الغريبة لبنجامين باتون)؟. قمعت نفسي أنني يجب أن أعرف...

برغم هذا، يعد الأوسكار درسا محكما في الافتعال والتصنع وعدم التلقائية. كل شيء مرسوم ومحدد مسبقا. وقد راهنت مجلة (امبير) البريطانية المعروفة مثلك قرائها على تكرار هذه المشاهد في كل حفل أوسكار

1- يُذكر اسم ممثل بريطاني فيصيح أحدهم في صرح البريطانيون قادمون!

2- تثبت الكاميرا على وجه جاك نيكلسون وهو بالنظارة السوداء يمنحك ضحكته المفضلة التي تكشر عن أسنانه كلها

3- يطيل أحد الفائزين كلمته فتبدأ الموسيقا لتحرجه

4- يتحين أحد الفائزين الفرصة ليلقي خطبة سياسية ما ليس الوقت وقتها.

اذكر أوسكار عام 1993 الذي قدم في يوم حربي لأمريكا؛ لأن التلفزيون العراقي عرض يومها صور الجثث قتلى أمريكيين وعرض لقاءات مع الأسرى. هنا ظهر على المسرح ذلك الممثل (ادريان برودي) الذي يحمل وجه حصان، وألقى بعينين دامعتين كلمة عن السلام. وطلب من (هؤلاء القوم) المتوحشين في العراق أن يكفوا عن العنف.. صفق الناس ولم يسأل أحد: من هاجم من؟.. ومن قطع نصف الكرة الأرضية ليحتل بلد من؟. هل كان العراقيون سيأسرون جنودكم لو ظلوا في الولايات المتحدة؟. ريتشارد جير كذلك ألقى خطبة عصماء عن احتلال الصين للتبت وطرد الدلاي لاما.. السبب طبعا هو أنه بوذي.

عندما فاز الممثل الإيطالي (بانيني) عن فيلم (الحياة جميلة)، تذكر أنه ممثل كوميدي ويجب أن يكون ظريفا. لذا راح يتواثب

فانقلب فوق المقعد إلى أن بلغ المنصة فنال صوتها لورين وتلميحاتها بالإنجليزية. كل هذا جميل.. لكن مجلة استار تذكرت أنه فعل ذات الشيء حرفيا وكرر ذات المشهد من قبل في مهرجان كان. كل هذا الانفعال تمثيل تدرب عليه مرارا.

أما عن الصور فقد قالت مجلة فرنسية شهيرة إن جائزة أفضل ممثل مضمونة لو كنت تقوم بدور تاريخي أو دور مدمن مخدرات في صراع مع الإدمان. وجائزة أفضل ممثلة مضمونة لو كنت تقومين بدور عاهرة لها قلب من ذهب!. هناك قواعد عديدة. مثلا أوسكار المؤثرات الخاصة محجوز للملتحين. [illegible]

[illegible]

أما عن الضحكات فحدث بلا حرج.. ترى تلك الممثلة شاردة الذهن بوجهها القاسي الشرير (يطلق الشرر من عينيها كأنها الشيطان) وفجأة تشعر بحاستها بأن الكاميرا على وجهها. فتتسع ضحكتها كاشفة عن صفين من اللآلئ في ضحكة مفتعلة باهرة.. هذه هي أمريكا فعلا .

أشعر كلما شاهدت احتفالات الأوسكار أنها نوع من فرض

نمط الحياة الأمريكي على العالم. هكذا يفرح أسيادكم أيها الموتى..
ها هو ذا عباس وحسين وسنوسي يتهللون فرحا لأن (أنجلينا جولي) ظهرت . ثم يتساءلون عن سبب عدم ظهورها مع براد بيت. يا ترى يا هل ترى؟!.. هل بدأت بذور الشقاق بين الزوجين؟!.. يبدو أن أسهم جنيفر أنيستون سترتفع بالفعل..

هكذا تعرض أمريكا أولوياتها على العالم، وهي تعرف في فخر أن مواعيدها الشخصية لا تناسب أيا من شعوب الأرض لهذا يجلس الكل في أوروبا وإفريقيا ساهرين. تذكرت كذلك زعماءهم عندما يزورون المنطقة العربية فيضبطون موعد الزيارة على أنسب وقت مشاهدة لدى المواطن الأمريكي، ولهذا مثلا قد يزورنا مسئول أمريكي كبير في الثانية بعد منتصف الليل. كما أرغم الملك حسين رحمه الله على لقاء الرئيس الأمريكي عصرا في الصحراء تحت القيظ؛ لأن الرئيس الأمريكي أراد أن يرى المواطن الأمريكي هذه المشاهد قبل ذهابه للعمل

الحفل لم يبدأ بعد.. وكما يقول المترجمون عندنا: (ارتدى الرجال الفراك وتحشمت النسوة عن نحورهن).. إنهم يقومون بعرض

أريكة على البساط الأحمر.. ربما يخدعهم جميعا.. تعالوا نتكلم عن جائزة الأوسكار نفسها. الأمر سهل في وجود الإنترنت حيث كل شيء متاح. لكني سأرجع للكتاب الجميل (جوائز الأوسكار) لمحمود عبد الرحمن الزواوي (كتاب الهلال – 453) الذي كان يساوي ثقله ذهبا في ذلك الوقت من عام 1988، حيث كان من المستحيل أن تجد كل هذه المعلومات في مكان واحد

جائزة الأوسكار ليست الأكثر دلالة على قيمة العمل الفني، لكنها الأشهر والأكثر إبهارا. طبعا الفوز بالأوسكار يترجم إلى ارتفاع فلكي في إيرادات الفيلم وأجور ممثليه. عندما فاز (طار فوق عش المجانين) بالجائزة عام 1975 وثبت إيراداته 50 مليون دولار مرة واحدة.. هناك 32 منظمة أمريكية تقدم جوائز للأعمال السينمائية لكن القليل منها جدا ينقل على شاشات التلفزة. ولدت [illegible] عام 1927 [illegible] لسينما – ومقرها بيفرلي هيلز لوس انجليس – فأقيم أول حفل أوسكار عام 1929 [illegible] عام 1953 عندما ولدت فكرة تقديم جائزة للأعمال الفائزة، تم اقتراح 12

جائزة. وطلب من شركات الإنتاج أن ترسل قوائم عن أفلام العام. تتم عملية الاقتراع السري بطقوس شبه بيزنطية، ولا يشارك الجميع في التصويت إلا في فئة أفضل فيلم. فيما عدا هذا يصوت كل في مجال تخصصه. مجلس الإدارة الذي يصوت عدده ستة وثلاثون عضوا. ثم ترسل الأصوات لمؤسسة محاسبة محايدة هي (برايس ووترهاوس) التي تتولى العد. هناك اتهامات عديدة بالتلاعب في الأصوات، أعنفها وجه للويس ماير – صاحب شركة مترو جولدن ماير – مؤسس الأكاديمية. وهو السبب في عدم فوز جريتا جاربو بالجائزة أربع مرات. وهذا لصالح الممثلة نورما شيرر زوجة مدير الإنتاج في شركته

أما عن التمثال نفسه فهو خليط من النحاس والقصدير ومطلي بالذهب. فارس يقف بسيفه فوق بكرة فيلم تمثل الفروع الخمسة للأكاديمية (تمثيل – كتابة – إخراج – إنتاج – تقنية). وهو من تصميم (سيدريك جيبونز) ونحته المثال (جورج ستانلي). شركة دودج بروك تصنع 60 تمثالا كل سنة ثمن التمثال الواحد 200 دولار، وبعد ما يوزع على الفائزين يجمع منهم ثانية لنقش الاسم على

قعدته . أم عن اسم أوسكر نفسه فلم تخترعه الأكاديمية. والرواية الأرجح هي أن أمينة مكتبة الأكاديمية صاحت عندما رأت التمثال أنه يذكرها بعمها أوسكر . هكذا شاع هذا الاسم.

الكتاب ممتع وبه معلومات مثيرة مما يغريني بأن أعرضه عليك في مقال آخر. لكن حتى ذلك الحين اسمح لي بأن أتابع هذا الحفل الخرافي السخيف، فلست قادرًا على تركه!

ملحوظة مهمة جدًا: كانت الصور السابقة قبل ظهور (أنجيلينا جولي) مع (براد بيت) فعلًا. واضح أنهما سعيدان كذلك.. الحمد لله.. كدت أموت قلقًا.. !

اعترافات

كنت في سيارة أحد أصدقائي، عندما قال لي وهو يدس قرصًا مدمجًا في مشغل الأقراص.

- اسمع هذا. "

ومن السماعات تعالى صوت (أبو الليف) – الذي لم أكن أعرف أنه كذلك – يقول: "دولا مجانين.. " . الخ . ظللت أصغي بعض الوقت فلم يبدُ لي رديئًا.. اللحن رشيق و الكلمات ساخرة وذكية

[illegible]

بهجت قمر). ليس عملًا سيمفونيًا عظيم القيمة، وبالتأكيد لا يهدد عرش عبد الحليم حافظ أو حتى تامر حسني. لكن في النهاية تنطبق عليه كلمات (هاني شاكر) عن (عدوية). " ليس مطربًا بالضبط . إنه

مونولوجست من نوع خاص جدا". هي شاكر مثقف وخفته محسوبة بالجرام، وقد ظللت اذكر هذا التعبير على مدى ثلاثين عاما.

بعد هذا بدأت حملة تحطيم الخدود التقليدية. لقد بدا زمن ابي الليف بعد زمن شعبان عبد الرحيم .. هاوية اخرى تسقط فيها الطبقة الوسطى التي قررت ان تدخن البانجو وتتمرغ في الطين. الطبقة الوسطى تعاقب نفسها على ما صارت إليه بمزيد من الابتذال، لذا راحت ترحب بابي الليف ونسوه. مثل الفتاة التي فقدت شرفها فراحت تدهن وجهها بالوحل. بصراحة لم أر الامر بهذا السوء ولا هذه الرداءة. بل انني كدت وجدت أن هذه الكلمات الرقيعة الذكية قد تضيف شيئا لأدب الشباب. على الاقل هي أقل خطرا من (بوس الواو) و(بصراحة راحة واحدة مش بتعرفش). حيث التلميحات الجنسية هي اسم اللعبة ولا شيء سواها. لكني لم اجرؤ قط على الإعلان عن هذا.. المجتمع يحتم أن تكون مصدوما مشمئزا وإلا فأنت لست كما ينبغي لك.

من ضمن الأشياء التي لم أجسر قط على الاعتراف بها ان

الفنان (سمير غانم) قادر على أن يضحكني في أي وقت بمجرد أن يبدي بعض الامتعاض او يرفع حاجب السخرية ايضا. قديما قال الساخر محمود السعدني إن سمير غانم يفتقر إلى العمق الإنساني، وان زميله جورج سيدهم هو الممثل الكوميدي الذي يحاول إضحاك طفل [illegible] جلس يبكي جواره، بينما سمير غانم يحاول إضحاك الطفل [illegible] كميه وانصرف. هذا صحيح الى حد كبير، ولا اعتقد ان الرجل وجد نصا واحدا جيدا في حياته، لكنه برغم هذا يملك قدرة هائلة على الاضحاك.. اضحكني انا على الاقل.. رجل ظريف وذكي.

أما الاعتراف الاشد إذلالا للمرء، فهو انني احب اللمبي. لا اعني الفنان محمد سعد على اطلاقه، ولا اطيق أيا من سلسلة أفلامه التي نوى فيها وعوى وشد شعره وتحول لمئة شخصية كي يضحك فلم ينجح (قاعدة: يتناسب ظرف الفنان عكسيا مع الجهد الذي [illegible] تحولا الى كركر أو كتكوت أو بوحه أو كل هذا الهراء الذي قضى على الممثل الموهوب قضاء شبه مبرم. لكني هنا أتحدث عن اللمبي.. شخصية

لشاب المقيم في العشوائيات والذي لم يجد طريقة واحدة شريفة لكسب الرزق، والذي يبدو أن العالم كله قد خرج للتطهر به. فغاب في مستنقع المخدرات. كان هناك لمبي حقيقي في أعماق كاتب السيناريو والحوار، وكان هناك لمبي حقيقي في أعماق محمد سعد سمحا له بالخروج، فدبت فيه الحياة. صار هو ذلك الشاب الذي نراه في كل مكان. تذكرت كلمات د. وليد سيف الرائعة (سلسلة آفاق السينما – 29) إذ قال: "اللمبي موجود فعلا يا سادة.. إنكم ترونه لكن تشيحون بوجوهكم كي لا تروه.. إنكم تغلقون زجاج نوافذ سياراتكم عندما يقبل نحوكم ليبيع أمن.. تتركون خدمكم يتعاملون معه عندما يعرض بضاعته في حقيبة يجول بها في عز الحر.. اللمبي في كل مكان.. يمكن رسم خريطة وجوده على العاصمة لنجد أنه يمثل نسبة كبرى من شباب العشوائيات. اللمبي ينفث بعصبية سيجارته في وجوهكم سخرا من مشاربكم العملاقة وصوتكم التي لا يفهمها.. .... مشكلة اللمبي أنه لم يكذب بما يكفي.. ولم يكن مبتذلا بما يكفي. لا ينكر أحد أن أفلام الموجة الجديدة لا تلجأ لما عرفناه من قبل من عري فاضح وقبلات ساخنة محشورة وحوار مليء

بالتلميحات الجنسية. إن اللمبيين قدموا شيئا آخر أيضا". هناك كلمات مماثلة كتبتها الأستاذة صافيناز كاظم. كانت شخصية اللمبي شخصية جذابة جدا أطلقت محمد سعد نفسه، كما كانت شخصية بوند صنعت شون كونري، وكانت شخصية دراكيولا صنعت كريستوفر لي. لهذا فشل محمد سعد تماما عندما ابتعد عنها لأنه لم يشعر بالشخصيات الأخرى بنفس القدر. وأعتقد أنه سيكتشف مع الوقت أنها لابد أن تعود للحياة، لأنه – للأسف – لم يعد له وجود من دونها.

هناك عشرات من الاعترافات المماثلة عن أشياء لا ينبغي أن أحبها.

على الجانب الآخر هناك أمور يجب أن أعترف أنني لم أستطع أن أحبها قط. مثلا أغنية (من غير ليه) آخر أغنيات الراحل العظيم عبد الوهاب. في عدد من الفترات صارت هذه الأغنية خاتمة للمثقف، وكتب مفيد فوزي مرة قائلا: "حان الوقت لنمضي آذاننا مع من غير ليه" وكتب مرة أخرى: "تصوروا أن البعض لا يحب أغنية من غير ليه؟؟؟!!!" مع مئة علامة استفهام وتعجب. مع هذا

لعمع العمي لا يمكنك أن تقول إنك ترى الأغنية مفتعلة وسخيفة. هناك افتعال سخيرة ميتافيزيقية لا داعي لها (جابين الدنيا ما نعرف ليه) وهناك تحذلق في التوزيع. طبعا هي ارقى من (ابو الليف) لكنك تعطي الاخير مزية السماحة.

حدث ذلك الاعتراف المروع لدى قدمه (عادل حمودة) في الثمانينات، عندما اعترف أمام الكاميرا أنه لا يحب أم كلثوم فعاشت الدنيا ولم تقعد. في ربما نتمسك بقواعد مقدسة لا نسارك عنها، وان المذيعة تقابل سائق سيارة فتسأله عمن يحضر في المساء.. تكون الإجابة المحفوظة هي: "طبعا الست". بينما في جهاز كاسيت السيارة يوجد شريط لعدوية. هكذا يصل بنا الامر الى اننا لا نعرف عا ما نحبه حقا

لعل فردوس عبد الحميد ممثلة قديرة بلا شك، لكني لم [illegible]

درك.. قيمة غير بشرية تطل على الحطاة وتصدر احكامها. تواجه الكاميرا بعينين ثابتتين ولا تكف عن إلقاء القيم والمواعظ طيلة الوقت لو كنت تذكر مسلسلات (صيام صيام) أو (أنا وانت وبابا) فانت تعرف

ما أعنيه. بعد من أن صوتها الغنائي سيئ في رأيي الخاص. بينما كانت فعلا في أفضل حالاتها في دور بسيط مثل (نعيمة) الوريثة المثقفة الساذجة التي لا تعرف شيئا عن العالم.. هكذا عرفتها على الشاشة اول مرة. لكنك لا تجسر على الاعتراف بهذا لأن المثقفين ينظرون لك

[illegible]

لقد انتهيت من هذه الاعترافات المروعة وغيرها كثير.. اعرف أنك قد صدمتك واني دحضت قيمتك السوداء. لكن المرء لا يستطيع أن يستمر في الادعاء وهو في هذه السن. لي صديق يدنو من الخمسين اكتشف فجأة انه يعشق مونولوجات إسماعيل يس، ويحتفظ بعدد هائل منها كأنها سيمفونيات.. صارحته برأيي في هذا السلوك المعيب. فقال: هناك لحظة يجب على المرء فيها أن يترك نفسه تحب وتكره ما تريد. حتى لو كان سيبيه لهذا أن يعلن عن اعجابه بأبي الليف!

مثل الجذمور بالضبط

ما هو الأدب؟

كنت أعتبره نشاطا بشريا يبعث النشوة والهناء في النفس ويزيد من فهمك للكون وتذوقك للجمال. وهذا النشاط معروف في الفطرة البشرية. وإلا فلماذا يحتشد بدائيو أستراليا أو رجال قبيلة الكيكويو حول الراوي ليلا ليصغوا بعيون مشدوهة إلى قصصه الساحرة!.. لماذا يقف العرب حول أصحاب المعلقات في سوق عكاظ، ولماذا أنشد الملاح اليوناني السابح المصاب بالنيموس تلك الإلياذات؟. ثمة حاجة لدى البشر تفوق الأكل والشرب والجنس هي الحاجة إلى الفنون الجميلة. وإشباع حاجات الأكل والشرب والجنس لا يكفي لوأد هذه الحاجة.

كنت أحسب هذا الأمر بديهيا لكن الأمور تزداد تعقيدا يوما بعد يوم، بحيث لم أعد أعرف بالفعل ما هو الأدب.

جلست ليلا أدبج بعض الشعر المنثور، فكتبت هذه الكلمات

حزين أنا منفرد في كآبتي واغترابي

ذهبت إلى الليل أسأله عن لغز الدمع إذ يتجمد في الأحداق

قال الليل: الدمع طلسم مقدس.

لا تسل دموعي التي أذرفها مع الندى في الصباح

فلتسأل الأيك

ذهبت إلى الأيك أسأله عن خرير الهمسات

قال الأيك: أنا مغرم بعشق عمره مليون عام.

فلتسأل الشلال فهو بالعشق أعلم.

ذهبت إلى الشلال أسأله عن شكوى قصص الحب الصريعة

بجمال الفجر..

قال لي وقعت في غرام جبران. كتبت عنه وبات في

قصائد المحبة.

كتبت لمحبتك

راق لي ما كتبت... يبدو لي كانت تلك القصيدة التي لم يكتمل شعور جو خوري الذي يبدو أعمق مما هو فعلا. كنت راضيا عن نفسي. على أن أستخلص القصيدة غدا. ثم صحوت في الصباح وأعدت قراءة القصيدة.

... لماذا؟... هذه لعبة سهلة جدا مكشوفة جدا وقريبة من الأسطورة الحبيبة الشهيرة، ذهب للبحر وقال له هل أنت أقوى؟ فقال بل الريح أقوى لأنها تعبث بي.. ذهب للريح وسأله هل أنت أقوى؟!. قالت بل الإنسان أقوى لأنه يحتويني في [illegible]

... كذلك تذكرك بعض الأعمال المتعة التي حكتها لنا أبلة منيرة في مدرسة الإصلاح الابتدائية. عن الفأر الذي قطع القط ذيله. القط يريد لبنا ليعيد الذيل. اللبن عند البقرة. البقرة تريد

برسيما.. البرسيم عند الفلاح.. الفلاح يريد خبزا.. إلخ.

لعبة سهلة جدا ويمكن أن أكتب لك مائة سطر من هذا الهراء.. ربما لو كنت مدمنا للحشيش وحصلت على تموين كاف منه لكتبت مائتي سطر.

إن الأدب في شديد التعقيد والمراوغة بالمعنى.. من السهل أن تخدع المتلقي ليعتقد أنك أعمق مما تبدو عليه. ولعل الفن الوحيد الذي أفلت من هذه الدائرة هو الموسيقا.. فهل في الموسيقى ينكشف ضحل الموهبة على الفور. الرسم؟! بالطبع لا. تذكر أن لوحات فاروق حسني تباع بالملايين وهي عبارة عن لطخ من اللون الأصفر جوار الأحمر والأزرق، حتى قيل إنه ضرب ورقا كي يكتشف الناس كم أن لوحاته رائعة.

أما عن الأدب الأنثوي فمسألة أخرى ليس هنا مجال الثرثرة فيها. الأدب جيد ورديء ولا أعرف طريقة أخرى للتقسيم. لكن المرأة [illegible]

قرأت لكاتبة أنثى. الكاتبات اللاتي نسين أنهن إناث وكتبن أدب

إسابيل خالف فتح الله عنيهن، واقتربن من القمة.. اقرأ لرضوى عاشور او إبراهيم سعدي أو حتى ج. ك. راولنج وسيمون دي بوفوار ولسوف تتقطع أنفاسك انبهارا. لكن كثيرات ظللن في ذلك الخندق العميق: كراهية الرجل، الفكر الذكوري المسيطر على التاريخ وربما الدين، التمرد على القبيلة، عن الأنوثة... الخ.

بصراحة هذا النحو قد بلي تماما منذ الستينيات عندما كتبت فرنسواز ساجان هي نفسه لصيق، ومع الوقت صار خارج الزمن والواقع وعليهن أن يبحثن عن صيغة جديدة

وسانظر عناوين رواياتهن أو دواوينهن فنجد في كل سطر لفظة الجسد. جسدي.. الجسد.. مش معقول!.. لو فكرت بشيء من الهدوء لأدركت أنهن لا يفكرن سوى في الجنس ولا ينوين الخروج من خندقه النرجسي. برغم أنهن لا يكففن عن اتهام الرجل بأنه كذلك

حضرت ذات مرة ندوة وقفت فيها شاعرة شابة تلبس بلوزة تكشف عن نصف صدرها مع سروال ضيق لو لم يكن ملونا لحسبته غير موجود، وكانت متضخة بالمكياج كالهنود الحمر، هستيرية [illegible]

-"الرجل مصر على أن يعتبر المرأة وليمة في فراشه!"

نظرت للجالسين وأقسمت لنفسي أن هذا العرض يراود حلمهم جميعا يفكرون في موضوع الفراش هذا وقد بدا يروق لهم طبعا.. هل يجب أن يكون الرجال بلا هرمونات كي يبدلوا رغبات"..

ولماذا لبست بهذه الطريقة .... أم هو نوع من الامتحان لهم لترى ان كانوا رجالا كلهم ام لا!

أنت قدمت نفسك كأنثى لا كعمل. وبالتالي لا تلومي من يتعامل معك كذلك. وقد علمتني الخبرة أن هذا النوع من الأديبات اللاتي لا يفكرن الا في الجنس، يقابلن دوما الرجل الذكي الذي يتظاهر بالفهم والرقي وبأنه يختلف عن كهنة القبيلة. إلى أن يظفر بما يريد. بعدها يتخلى عنها لأنها هستيرية مملة، وتعود هي لدائرة العنف واحتقار الرجل وتكتب أكثر..

المشكلة الأخرى في رأيي هي النقاد.. تهم علماء ثبت [illegible]

[illegible]

لزهرة أو عصرها، والمحصلة هي أن أحداً لم يعد يلاحظ إن كانت الزهرة في إضمامة جميلة أم لا..

يكفي أن تكتب كلاماً غير مفهوم يوحي بالعمق وتبحث عن ناقد يحتفي به فيشبه به (زهقت هي افرار نقد بولسانيه. يعدد ويعيب النص في وحدات تعكس روح ما بعد الحداثة). بعد ثم تعقيدات وحركت بعد. هل تكتب كلاماً جميلاً يبعث النشوة في النفس ويدفع للتفكير؟ . هل يهمك من يقرأ لك؟.. لا أحد يذكر ذلك

يمر هذا الكلام الذي يرافق صدور ديوان شعر لشاعرة معروفة ... العظيم لم أعثر بكلمة واحدة سوى حذف ما قد يشير لاسم الشاعرة: تكمن قوة هذا الديوان وحدته في اشتغاله بلغة جمهورية بكر توسع أفق الوجود، وبسرد مكتوبه بشكل سرديه شبيهة بالالتفاف الأسوية على مركز المعنى.. فلغة الشاعرة ـ الحاملة للتغيير و مسكبة في اليف سردية ـ لا تسير وفق نظام هندسي مُحكم ومغلق وساكن، بل هي صورة العالم نفسه الذي لا تنتهي غرائبه، يشبه متن الجمهور... ... وهذا ما يجعلها لغة ماكرة تتخفى

دلالاتها تحت أقنعة شتى. فالحقيقة لدى الشاعرة ـ لا تقاس بالتقييدات الرمزية لها، وإنما بانعكاس إلى الوجود، و لوجود سردي في أكثر تفاصيله. من ثمة كان السرد في كل نصوص ديوانها هذا علامة فارقة مزهرة في منطقة انفجار. لأنه يقدم رؤية ذهنية وفكرية وتخييلية للشاعرة. ممارساً لعبور الحدث بين اللغة والخيال

طبعا.. هؤلاء سادة منممون لا يجب أن يقولوا كلاما مفهوماً. ربما كان كلام الناقد متحدلقا وكانت الشاعرة مبدعة فعلا.. تعال نطالع بعض قصائدها خاصة تلك التي اختارتها لتصعد على الغلاف الخلفي للديوان باعتبارها درة الديوان وعروسه:

مرّتْ بي وأنا أقصّ بالعادة

في ألياف الماء...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لأنك – عربيّ ولهجتك لهجة الشركة تعبات الغثاء!

لا تقل إن بوسعك كتابة هذا الكلام بإصبع قدمك.. ليس الأمر بهذه السهولة ومهما حاولت لن تنجح. لأنك تحتفظ ببعض الصدق والحساسية. وإنه العظيم هؤلاء القوم عباقرة فعلا، عباقرة عندما قرءوا، وعباقرة عندما نقدوا، وعباقرة عندما كتبوا هذا الكلام الذي لا أستطيع كتابة ثلاثة أسطر منه

ماذا قدمه ديوان كهذا للناس وللمجتمع ولحركة الفكر؟

لمزيد من التحذلق والادعاء لا أكثر. وكما يقول د. جلال أمين. فإن هناك رجال دين مزيفين يزعمون اتصالهم بالإله لتحقيق مكاسب دنيوية، وهناك أدباء مزيفون يزعمون اتصالهم بربات الفنون

لتحقيق مكاسب أخرى. الإله يقول نعم.. الإله يقول لا.. تذكر أن ساحر القبيلة لم يكن يجيد الصيد ولا القنص ولا الزراعة ولا القتال.. لا يستطيع عمل وعاء من خزف ولا يستطيع الإمساك بثور أو العناية بالماشية.. هكذا يقرر أن يصير سيد الصيادين والمحاربين والزراعين والخزافين.. إنه على اتصال بالآلهة ويعرف كل الأسرار.

أحيانا يتم الاحتفاء الحماسي بأديب شاب يتحسس طريقه في عالم الأدب. وهذه علامة صحية بلا شك. أذكر ندوة أقيمت في مصر لأديبة خليجية شابة. حضرها أساتذة مشهورون ونخبة من النقاد والأدباء المهمين. والفتاة في السابعة عشرة من عمرها تكتب كلاما فارغا كالذي تكتبه أية طالبة ثانوي في آخر كراستها. حتى توقعت أن أجد بين أشعارها (الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان) أو (الخط خطي ودمعي يسيل على خدي)، لكن هذا الرأي المتعصب لم يكن رأي السادة الذين حضروا الندوة. والذين تحدثوا عن ثورة جديدة في الأدب. وكيف أن كتاباتها ذكرتهم بتجارب الأديبة الروسية العبقرية الشابة (لم يعرفوا إنها ماتت في سن مبكرة بالسل!).

قال لي احد أصدقائي مازحا: لو إنك أديب واعد من قرية (جرصيت) مركز الغربية. تدون أعمالك بالقلم الرصاص في كراسة مدرسية عتيقة من التي كتب على غلافها الاخير (كشكول)، وتذيل بيجامة كستور مخططة. فهل تتوقع أن يهتم بك احد أو يقرأ لك حرفا؟ ولذا يصعب ان نعمم هذه النصيحة على كتابات أدبية ضعيفة أو فقيرة "الا فيما ندر"، اترك لك الاجابة. ونعود الى موضوع الجذمور.

سألني بعض الاصدقاء عن معنى (الجذمور) فقلت لهم ان الجذمور هو (الريزومات) لو كنت تذكر حصة الزراعة او حصة الاحياء. وهي سيقان النبات الافقية تحت الارض التي تنمو منها عقد وسوق جديدة. هناك نظرية نقدية كبرى هي نظرية الجذمور، وبرغم هذا فإن الموضوع يحتاج الى عبقري ليفهم معنى هذا الكلام.

قال د. علاء الأسواني في حوار سابق، انه كلما اقبل الناس على كتب ما استفز هذا الادباء الاخرين الذين اعتادوا الجلوس على المقاهي ولوم جهل الجماهير. فهذا يزلزل الحقائق ويحرمهم لذة الاستشهاد لذة الشعور بأنهم نحتوا التفوق من مقاطعها فلم تفهم

النص.

في عصور ضعف الادب ينتشر الغموض. وتكون هناك خلطة قوية الرائحة تخفي ان الطعام فيه لحم فاسد أو لا لحم على الإطلاق اضف لهذه الخلطة الكثير من التحذلق والغموض والتعالي والقرف والاحتقار من سطحية القراء. ولسوف تعبر ... تعبر إلى المقهى الذي يجلس فيه الادباء المتجهمون. جنة النقد.

قرأت لاحد الادباء مقالا ينعي فيه عصر التجريب الذي نعيشه نتيجة الارتداد بالرواية مرة اخرى الى عصر الحدوتة، ولاقت جماهيرية جعلت البعض يتصورون أن هذا انتصار للحبكة. وهذا هو مقياسهم الذي لا يحيدون عنه: الرواية التي تروق للناس وتجدها في يد الجميع عمل سطحي تافه.. مصيبة لو كانت الرواية مسلية او جعلت القارئ يتساءل عما سيحدث بعد ذلك. لابد ان تكون الرواية عملا قيما مستحيل الفهم والا فهي فاشلة، ومهمة الاديب المقدسة هي أن يصل بالقارئ لحالة من العجز التام عن فهم ما يقرأ. طبعا ليس الرواج دليلا على شيء والا لكان شعبان عبد الرحيم أنجح مطربي مصر. لكن هناك حلولا وسطا، وأنا لم أر عملا ممتعا عسير

لفهم ليوسف إدريس أو نجيب محفوظ أو تشيخوف أو الغيطاني أو إبراهيم عبد المجيد أو لمسي قنديل أو المخزنجي. وماذا عن يعقوبيان التي وقفت وسط ـ ـحة بين ما هو عميق ومحكم أدبيا وما هو ممتع للجمهور؟. في أوساط المثقفين المتحذلقين يعتبر ابداء الاعجاب بيعقوبيان نوع من النحر الصريح.

هذا الجدل قديم متجدد. ويطلبه في النهاية لنا هو مفهوم وجميل. وكلنا يعرف محاولات فورستر الجاهدة للتحويل في الرواية إلى تعذيب سفري. لدرجة أنه عثر في الحكي من بقايا عادات انسان الكهف البدائية، بينما ماركيز العظيم نفسه قال إنه لا يشتهي شيئا مثل أن يجد نفسه مجرد راو عربي يجلس في الأسواق ويلتف حوله الناس مستمتعين بقصصه الممتعة. فلو لم نكن كذلك لمات جوعا

لكن الكاتب الجميل يهوي بسياطه على المجتمع المصلحي لديه الذي سيطرت عليه الخرافة ولم يعد يحترم حرية الفرد.

و... ويحدث بأن نقرأ ذات الرأي بشكل معقد غير مفهوم في روايته!

المشكلة مع هؤلاء الأدباء هي أنهم دوما عباقرة يكتبون

للأبقار، فمن هو الرديء فيهم إذن وكيف نعرفه؟ هناك واحد — سامحه الله — قال يوما إن الأبطال يقذفون بالحجارة سيما سورود للموتى. ومن يمش في المقدمة يطعن في ظهره. لكن هذه المقولة فقدت الجميع وصارت شعارهم، إذن لن يعرف معدوم الموهبة أنه كذلك أبدا. إنه بطل في زمن أشباه الرجال لا أكثر.. لو فشل العمل الأدبي فبسبب مناخ السطحية. وهذا يقود لاستنتاج عجيب هو أنه لا يوجد عمل أدبي سيئ أبدا!..

هكذا يذهب الأديب للمقهى وسط البلد مدعية الجدران ويدخن الشيشة وربما الحشيش، ويشتم الناشر النصاب الذي يزعم أنه لم يبع سوى طبعة واحدة بينما هو حتما باع تسعا.. ومن حين لآخر يقع في يده عمل لأديب من أصدقائه فيقول:

"حبيبي ده حد جميل."

هذه هي طريقة كلام وسط البلد. وعليك أن تتعلمها لو أردت أن تكون شيئا..

يمكنني أن أعرف مسار حياة معظم هؤلاء الأدباء بوضوح تام: ثلاث روايات أخرى ومجموعة قصص قصيرة — عدة ندوات وثلاثة

لقاءات تلفزيونية، وربما بعض المقالات عن (النزعة الابستمولوجية في أدب كوسز) ومشجرة أو مشجرتين على شبكة الإنترنت في موقع لا بد أن اسمه (طلاقة) أو (إبداع). ثم تتلاشى الفقاعات. وتبقى كتبه على الرفوف وفي مخازن هيئة قصور الثقافة حيث هي. ولن يذكره أحد لو حتى غاب عن واحد من المحافل التي يحرص دائما على الظهور فيها، وقد تسميه بعض سكان جاردن سيتي ب (محمد الحديدي لخلفيه لاتيليه القاهرة) ثم يموت يوما فلا يلاحظ أحد، ويكتب احد أصدقائه يلوم وزارة الثقافة لأنها لم تكرم هذا الأديب المهم. قرأت مقالا لروائي شهير يشيد فيه برواية صديق له. ثم قرأت مقالا يشيد فيه الصديق برواية لذلك الروائي الشهير. هكذا تسير الأمور في هذا المجتمع المغلق على نفسه: سوف نقرأ ونصفق ما يكتبه بعضنا لبعض ونحتفي به ونحضر حفلات توقيع وندوات بعضنا ونحتقر القراء والكتاب المهمومين الناجحين، والعيب ليس في القارئ، بل فيمن انتزعوا الأدب من حياة الناس ليضعوه على أعلى رف في المكتبة كما فعل (إليوت) بالشعر. وبمثله – يقول النقاد الغربيون عن إليوت – صار الناس يخافون الشعر ويكرهونه بعد ما

كان سلوى حياتهم ومتعتهم

ـ

ما هو الأدب

أعترف بأنني ضائع ولم أعد أتبين طريقي وسط هذا الضباب.

برغم أن الطريق كان واضحا تماما منذ عشرين عاما..

لكنني من حين لآخر أعود ليوسف إدريس ومحفوظ وتشيخوف ودستويفسكي وسومرست موم وديكنز ويحيى حقي وصلاح عبد الصبور وأمل دنقل لأسترجع تلك الجذوة المقدسة، ولأعرف معالم الطريق الذي يوشك على أن يضيع. بنفس المنطق الذي نبحث به عن العلامات البيضاء في وسط الطريق لنتقي (الشبورة). سأكتب ما يروق لي وأدعو الله أن يروق للقارئ، وليقل من يشاء ما يشاء، حتى لو بحثوا في كتاباتي عن الجمهور فلم يجدوه. لقد وجد الأدب قبل الجمهور ومن الواضح أنه سيبقى من بعده!

إبداع حتى النخاع

هذه معركة شرسة لا تعترف بالوسطية بين الفريقين. فأنت إما معي أو ضدي. إما أن تقف مع الفريق الذي يمنع ويحفظ ويبهم فتصير محاربا لحرية الإبداع وواحدا من دعاة الظلام، وإما أن تقف مع [illegible]
وآدابه لهدم قيمنا

لو أنني شعرت كثيرا من المتربصين. واصطدمت معهم أكثر من مرة حتى فاض بي فعلا. التفتيش في الضمائر ممتع ولذيذ جدا ويشعرك بأنك قضاة تصدر الأحكام من فوق عرش عال. هذا فهو هرطيق. أحرقوا هذا فهو على اتصال بالشيطان. أنا القاضي الأعلى لمحكمة التفتيش أدعو (كوبرنيكوس) إلى أن يتوب

قبل أن نطهره بالنار.. إنها لذة تفوق أية لذة أخرى. وهكذا يضيق هامش الحرية كل يوم. إنهم يراقبونك في شك ومستعدون لذبحك لو قلت كلمة مريبة. حتى على مستوى كبار الدعاة.. قرأت في أحد مواقع الانترنت مقالا للمفكر الإسلامي الكبير (محمد عمارة) يضرب فيه مثلا لغويا لا أكثر. فانبرت إحدى القارئات تسأله في عصبية عن عقيدته. قائلة: هلم أفصح!.. حتى (محمد عمارة) نفسه مطالب بالدفاع عن نفسه وإثبات أنه ليس كما تظنين!. كل شخص مشتبه فيه وكل شخص يمكن أن يصير متهما في أية لحظة..

أعترف بحالة الحصار هذه وكتبت عنها كثيرا، لكني كذلك اعترف بأن هناك حالة عامة من الانفلات بدعوى الإبداع.. صار من [illegible]
وتدافع عن قوى الرجعية، وتفوح منك رائحة النفط الخليجي. منذ فترة طويلة لم أقرأ كتابا جديدا خاليا من لقطة أو لقطتين من [illegible] سماعه في السوق وموقف عبود. هناك خلطة محكمة معروفة [illegible] بدقة شديدة. غضب – تجديف

واسهبة بذيئة: جنس - ياس - حشيش - محارم. هذه الرواية لابد أن تعجب الجميع وتشتهر. وحبذا لو منعها الأزهر فهذا يوم سعد المؤلف.. سوف تنعقد من اجله الندوات ويصير موضوع العدد بعدة مجلات ادبية. فقط ينقصون شيئ مهم في هذه الخلطة وهو ضروري لاستلاعب. الموهبة.. .. النص.

في هذا المقطع على لسان فتاة يرغمها ابوها على حفظ القرآن. وقد [illegible] لي امي معيبة وكرة قدمه: ... يقعد ويقمع تعليمك. وحياة امي لـ (...) يا (..) يا بنت الـ (..) وابي يواصل الضرب بهمة على أمي امي حتى تجيب دم ويقول لي: شايفة يا (.)؟.. وحتى أمك الخدامة م خلاق سوبر سلامية لابيه؟ انسطلي؟.. طبعـ (...) امك.. أنت و مك عني (...).. مش حتمشي إلا لـ تسمعيه عشر مرات.. إيه رايك يا بنت الـ ( ) ؟"

هذا هو اكثر مقطع مهذب استطعت اختياره. وهذه الرواية ناجحة جدا على نسخة لاسرتت على فخرة، والجميع يتساءل عن

سبب إحجام الناشرين الجبناء عن نشرها.. انها قضية الفكر أمام ظلام الجهل وخفافيش الظلام.. هل يجب أن أفتش من حين الحين في نثر هذا الكلام ليقرأه ابني؟.. ب حتى لو كان هذا هو الادب فلا [illegible]

شاهدت على موقع (يوتيوب) فيلما قصيرا لمخرج من خريجي معهد السينما اعاني بالذهول. وكان ... يتحدث لموضوع فيلم قضية فكر امام خفافيش الظلام. الفيلم يدور حول عاملة سنترال تحرق الف طيلة الوقت. ولا تطول جملة واحدة من دون سبة جنسية يعاقب عليها القانون.. تراقب الرئيس وتدرك علاقته بين الزوجة المسيحية التي تخون زوجها مع صديقه. والمدارسة التي تحرب مواعيد لزبائن الدعارة من الحديقة. عمل قبيح لا رابي ينبع من رغبة أصيلة لدى صانعه ان يشعر بانه ليس مهذبا أسوة .. كل الناس منحلون منافقون. من لم يزن هو شخص لم يجد فرصة بعد.. احد اصدقائي رأى الفيلم فقال ساخرا: العقدة الوحيدة التي يقدمها هذا الفيلم للمجتمع هي اغتصاب عاملات السنترال لان كلامهن (أبيح). و الايمان المطلق نحو المواطن في تحويل كابينة السنترال الى حجرة

يوم آخر ما يمكن أن يحدث عقب مشاهدة فيلم كهذا هو أن يخرج الناس من دور العرض وقد تطهروا. فلابد أن مرجان وسمير ويعيد بين كل يدفعون لعقلية البرجوازية بكل هذا التهذيب والرقي المصطنعين [illegible]

حينما يخيل لي أنه كان من الأسهل والأبلغ أن يصور المخرج قصة فتيات بشرية حوار جدار لمدة نصف ساعة. مهما قال وفعل فلن يصل بعده للبلاغة أبدا. نفس الشيء ينطبق على سيل الأفلام الحديثة التي تدعي الواقعية الجديدة. يخيل لي أنها تجميع لصفحات الحوادث في الصحف. هؤلاء لا يتعاطفون مع البؤس والانحلال الأخلاقي بل يتاجرون به ليستمتع المشاهد بكل هذه البشاعة. كان هذا بيت الروح في حديث الحيوان ثم [illegible]! . سحلية بورل!!.. يا ماما .!

لو كانوا صادقين وقاسين فعلا فليروا ما فعله محمد خان في (أحلام هند وكاميليا) أو داني بويل في (مليونير العشوائيات) و(مراقبة القطارات) أو حتى حسام الدين مصطفى في (الباطنية)

هذه الخواطر تعذبني وتشعرني بالذنب لأنني لست في صف

حرية الإبداع المطلقة بالكامل. إذن أنت مثقف مدقق يا شبيهي يا أخي على رأي الخواجة (بودلير). ثم تذكرت أن لي رافدين فكريين مهمين هما محمد حسنين هيكل ود. جلال أمين.. ماذا يقولان عن هذا؟!.. أولا هيكل لا يطيق لفظة (إبداع) أصلا ويشم فيها رائحة الخدعة. ثانيا هو كتب مقالا ذات مرة عن قضية (وليمة لأعشاب البحر) الشهيرة جدا. رأى هيكل أن الحملة ضد الرواية كانت مصطنعة وتحريضية حقا وتوحي بـ (صناعة الأزمات) – تعبير أدبي آخر من تعبيراته الجميلة. ثم رأى أن الدفاع عن الرواية استدعى للميدان قيما عظيمة مثل الحق والحرية والاستنارة في غير محلها أصلا. وهكذا تورط المثقفون في معركة وجدوا أنفسهم فيها – كما تبدى للجمهور – ضد الدين ومقدساته. وهكذا خسروا المعركة قبل أن تبدأ. دعوى الحرية لن تسمع لأن المواطن العادي سيجدها تطاولا وتخريبا. دعك من النغمة الدائمة لدى المثقفين. العمل الأدبي لا يمكن فهمه إلا بواسطة متذوق فني..!.. هذا معناه أن المثقف يرفض كهنوت رجل الدين لكنه يقبل ويطالب بكهنوت الناقد!. هناك حجة أخرى تمضي بأن بعض العبارات مقتطعة مجتزأة من السياق

ويجب قراءة العمل الأدبي ككل قبل التعليق. يقول هيكل إن هذه الحيلة ليست ناجحة دائما، فمعظم المثقفين لم يقرأ رسائل أخوان الصفا أو أعمال أفلاطون كاملة، حتى كتاب (رأس المال) فإن من قرأه كاملا، بل حين قد يعبّر بجزء عن الكل. د. جلال أمين كتب كذلك عن رواية (الحقار) التي أحدثت ضجة مماثلة، فقال بوضوح "حرية الفرد في الكتابة يجب أن تكون لها حدود مثل حرية الفرد في إطلاق الرصاص على الناس" لكن ما صاغته فعلا خلو الرواية من أية قيمة فنية من أي نوع.. والكاتب يعطي على هذا العمل بأسمائه الصريح في وصف مشاهد جنسية. يقول كذلك: "هناك قطاع عريض من المثقفين أغلب على الدفاع عن عمل غثة فكريا، تهين المقدسات الدينية وتجرح شعور العام باسم حرية الإبداع وحرية التعبير".

د. جلال يجد في هذا الموقف بدوره إرهابا من نوع آخر.. فهم يستعدون الدولة على معارضيهم ويطلبون التأييد والدعم الأجنبيين.. بل إنهم يبعدون عن الأضواء مبدعين حقيقيين كل ذنبهم أنهم لم يجرحوا أحدا في كتاباتهم

من العجيب أن محمد المويلحي في (عيسى بن هشام) يقول بالحرف: "من تأمل قليلا وجد أن الشرح والإسهاب في خطب الرذائل التي يندر حدوثها ويقل وقوعها كان من الأسباب في انتشارها"

المويلحي ليس من دعاة الرجعية والانغلاق. وليس بالتأكيد من عشاق الظلام. لكنه رجل ذو حس سليم وبصيرة نافذة. في المتوسطة قرأت قصة أحدثت ضجة بين محبيه (ولاد حارتنا والبلطجيون) تُعاد بحجة في أشياء شديدة منه، ليس باعتبارها رمزا للحجوبة والعطاء.. الخ.. بل لأنها بيساطة بنيرانه كنت مراهقا في المدرسة الإعدادية لكني تساءلت عن القيمة الأدبية العظمى التي قدمتها هذه القصة، وما كانت البشرية ستخسره لو لم تنشر أو لم تكتب.

ثم وجدت الجواب الصحيح في مقال ساقد كبير – نسيت اسمه للأسف – نشر في مجلة الهلال. قال إن الأديب يمكن أن يتعامل مع الجنس.. بل يجب أن يتعامل معه باعتباره جزءا حميما من مكونات حياتنا. ولكن عليه وهو يفعل ذلك أن يمتلك قدرا من النظرة العميقة والموهبة تسمحان له بأن يتعالى على عقده الشخصية

ورغباته المكبوتة . بمعنى آخر: لا يكتب ما يتجلب لعابه له أو ما
يثيره هو شخصياً.. طوفان الأعمال (الابداعية) الذي عرفنا منه منذ
أعوام، عاجزين عن الاعتراض حتى لا نتهم بالتخلف والرجعية
هذا الطوفان هو طوفان عقد معينة وجديد بلا شك . لا اعتقد ان
الجديد ليس مفيد لمفكر او يعبر عن حرية صاحبه انه يلوث كل
شيء يمسه. وان كان خروجه يريح صاحبه قليلا

وربما مع تلك المقالة المهم للدكتور (جلال أمين) الذي
يناقش فيه رواية (محمد) يقول د. جلال: "هؤلاء المدافعون في كل
مرة عن حرية الابداع والذين يتحمسون لحرية التعبير لهذا الحد.
لابد انهم يلاحظون ما تفعله الدولة في تقييد هذه الحرية. فهذا قليل
القدر عن مبيت خاطر ما تفعله الدولة في تقييد هذه الحرية. وثار
ثورة عارمة على محاولة كاتب ان يقيد حرية كاتب تجاوز الحدود.
فلابد ان تكون للمرء امثلة في ان الموقف ليس ظاهرا مئة بالمائة

عندما يتكلم د. جلال أمين يكون علي ان احترس وانقل لك ما
فيه يرى د. جلال ان منع كتب (نصر حامد أبو زيد) مثلا خطأ
لأنها كتب تحوي آراء وتستدعي ان تناقش. بينما إذا شملت

أحدهم في الشارع فهذا ليس اختلاف في الرأي بل هو وقاحة يجب
منعها يقول ان رواية الصغار هذه صدمته بكل ما فيها من جنس
فاحش، والفاظ مدمغة تقال عن القرآن الكريم، لدرجة انها نشرت
كاتبا يساريا في جريدة الأهالي واستفزته هو في جريدة الدستور. هذا
حتت حملة الدفاع عنها وقال د.صبري حافظ استاذ النقد الادبي
"انتقاد الرواية ليس من حق صحفي لا دراية له بأساليب قراءة
الأعمال الادبية ، لأن العمل الفني ينهض على الجدل المستمر بين
جزئياته المنتقاة بعناية من كم هائل من المواد المدونة للكاتب". كلام
كبير صعب فهمه. لكنه من جديد يطرح قضية ان فهم العمل الادبي
كهنوت مقصور على كهنة النقد من ... فقد كانوا يشكون من
كهنوت رجال الدين امس"

ثم يعرض علينا هذه الفقرة من الرواية "الطريقة العادية
نفسها التي يمكن أن يموت بها أي احد. اي أحد وحيدا في حجرته
العلوية تماما كموت الآخرين. لا يموتون هكذا مرة واحدة ولا
يتركون لنا أشياءهم الحقيرة الا لأنها ليست مهمة في الموت". يطلب
د. جلال بان نعترف: هل يوجد أي جمال أو معنى في هذه الفقرة

لكن د. صبري يقول عنها: "محاولة واضحة لبلورة تراديد وبكرية يتذبذب فيها السرد بين عوالم متنافرة ولكنها متضافرة بطريقة فريدة". هنا يفقد د. جلال هدوءه المعروف ويكتب كأنه يصيح: هل هذه قصة أم كتاب مقدس؟ هل أية قصة كتبها شخص هب ودب تمنح هذه العصمة. وكأنها عمل مقدس لا يجوز حذف جملة أو قصقصتها من سياقها ولا حتى بها اللعنة. لو كان هذا أدبا فكل رقصة في شارع الهرم تستحق نفس المعاملة.

من الطريف كذلك أن نجد أن د. جلال يمتعظ جدا من لفظتي (ابدع) و(حقق) هاتين. وهو نفس شعوري هيكل. وقد لاحظ أن الكتاب يستعملون هاتين اللفظتين كثيرا. مهما كان مستوى العمل الأدبي. كل كتابة قصة أو رواية مهما كانت رديئة تؤهلك لحمل لقب (مبدع). فقد استمرؤوا لحن لكم ونعموا هؤلاء المبدعين العظام يستمتعون بهدوء اللازم بحصانة المحقق

ليس من حق الناس أن تعرف كل شيء، وليس من حقهم أن يُكشف عن كل محجوب ويرفع الغطاء عن كل جسد.. هناك ألف طريقة لعرض الشر. كما يعرف كل الأبوين أن الطريقة المثلى لإقناع ابنهما

بعدم التدخين ليست هي أن تحضر له سيجارة وتجعله يدخنها.
يرى د. جلال كذلك أن هناك موقفا خاليا من الفن يقترب من التقديس.. ومن فرط الخشوع والرهبة يوشك أن يكون دينيا. ولكن أن الذي شهد مصابين كثيرين يدعون التقوى والشفافية بينوا أغراضهم. فهناك في الفن مصابون كذلك يدعون موهبة الفنية وأنهم على اتصال بربات الفنون. ثم ينهي مقاله الساخر قائلا: "بهذا مسيرة التاريخ دائما للأفضل.. ولا أشك في أن التراجع في هذه القضية بالذات هو شيء حكيم للغاية"

أشعر باطمئنان كلما قرأت هذا المقال لأنه يجعلني أدرك أنني لست متطرفا متعصبا. فهناك مثقفون عظماء كان رأيهم قريبا من رأيي الحالي.. ليست الكتابة عن الجنس هي مشكلة.. المشكلة هي الفحش فيه. وهي كتابته للتلذذ الشخصي أو لجذب القارئ أو لاستثارة

[illegible]

لا أحد يطالب بالمنع واستخدام سلطة الدولة مع الأدب، لكننا كذلك نطالب بأن يكون أدبا حقا. المحتوى الأدبي العالي هو الذي جعلنا نتقبل تلك الجرعات الصادمة في ألف ليلة وليلة وأشعار

شعراء الهجون وكتاب الأغاني.. وبرغم هذه الخرجات الصادمة فإنها لم تبلغ ربع ما نراه اليوم. هناك قصة على شبكة الانترنت لا أجسر على ذكر اسمها وحده. فكيف بمضمونها؟. وثمة موقع هي حكايته من لص تلذذ بكل صاحبته واصحاب الموقع يصرون على أنها (بدع).

نحن لا نطلب بأن يجلس الأديب إلى مكتبه عازفًا على أن يكتب عملًا يظنه مفعمًا بالقيم فتكون النتيجة في غاية السوء شبيهة بالمسلسلات التي يكتبها المدعون لأنفسهم في رمضان. لكننا ندعو بأن لا يجلس الأديب عازمًا على كتابة عمل فاضح مليء بالجنس والكفر والسباب وخدش الحياء والعبث وربما المحارم الحلم هو أن يكون الأديب هو الرقيب الوحيد على ما يكتبه، وأن يدرك جيدًا أنه يجلس في مقعد محترم جدًا جلس فيه من قبله تشيخوف ودستويفسكي ويحيى حقي ويوسف ادريس ونجيب محفوظ ومحمود تيمور وتشارلز ديكنز ومارسيل بروست وفلوبير و.. و.. هؤلاء كتبوا عن الضعف البشري والشهوات والإلحاد.. لكن كيف كتبوا؟

القسم الرابع

ويحوي تأملات

[illegible]

ديجا فو

يذكر القارئ بأن (ديجا فو déjà vu) هو تعبير فرنسي معناه (شوهد بالفعل) وهو يستخدم للدلالة على تلك المواقف التي تمر [illegible] عشتها من قبل. هناك تفسير فسيولوجي محبط يقضي بأن الأمر يعود لتأخر وصول الدم لأحد النصفين المخيين في المخ عن الآخر. وهذا يضايق الناس لأنهم يحبون أن يشعروا بأنهم مرهفون شفافون ذوو قدرات غيبية. وليسوا مجرد أشخاص لا تعمل دورتهم الدموية جيدًا.. هم أكثر من هذا..

أنا أعاني حالة عميقة من ظاهرة (ديجا فو). لكن مشكلتي هي أنني عشت هذا فعلاً وجربته وتعذبت به ألف مرة.. حتى إنني اخترعت مصطلحًا جديدًا هو (ديجا فيكو déjà vécu) أي (عيش

بالفعل) .

منذ حدث مرة ... بعد عشت هذا الموقف مرارا لا حصر لها من قبل. هذه التفاصيل حدثت حرفيا عند بدء الانتفاضة الثانية وعند اجتياح مخيم جنين.. نفس المظاهرات الغاضبة في العالم العربي وأوروبا، ونفس لا مبالاة الحكام وإشاراتهم السلامية وقمعهم المظاهرات بقوات نظامي وحدد لتحرير فلسطين. نفس الخطابات الموثقة فعلا في الأمم المتحدة ثم يتداولون فيرفع مندوب الولايات المتحدة يده بالفيتو ضد قرار الإدانة. يقدم الفيتو وهو لا مبال وقرف ومشغول بأمور أهم. الرئيس الأمريكي يؤكد أن لإسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها. دعوة لمؤتمر قمة عربي لا ينعقد أبدا قبل الاجتماع وكل الصدق والنوم في (فور سيزونس) حيث شاق لا يحتمله أحد. نفس الانتقادات لمصر حتى بلغ الأمر درجة حرق العلم المصري في الأسكندرية الشبيه. نفس معركة (مصر خائنة متخاذلة – مصر قدمت الكثير من أجلكم يا ناكري الجميل) .

ذات جثث الأطفال المكفنة . ذات القبلة الأخيرة على الجبين من الأم بجمعها أب بال ... أنا متأكد من أن هذه الطفلة ماتت من

قبل في جنين وفي اجتياح جنوب لبنان عام 2006.. ذات الملثم يتوعد إسرائيل أمام الكاميرا.. ذات الكلمات البراقة تقولها مدلين أولبرايت ثم رايس ثم ليفني. هناك دوما امرأة شمطاء مسمرة (مش فاهمة راح يلعب).. نفس المتحدثين في قناة الجزيرة، ومن يؤكد أن العدو ارتكب غلطة عمره، ومن يؤكد أن المقاومة ارتكبت غلطة عمرها.. الأول يتهم الثاني بأنه عميل ومن المارينز الجدد، والثاني يتهم الأول بالحنجورية والعيش في عصر الملك.

ذات القلق واللوعة في أعماقك. ذات الأمل الخافت في أن يتغير مسار المعركة... معارك أم المعارك في العراق وذعر الأمريكان والاستجواب لرامسفيلد في الكونجرس ... هل أحدثنا أي فيتنام أخرى يا أحمق ... البارجة الإسرائيلية تحترق أمام شواطئ بيروت.. حماس تعد بمزيد من المفاجآت.. ثم ينقشع الضباب فتكتشف أن كل شيء قد ضاع كما في العراق. أو تكتشف أن الحرب لم تكن أذكى مما تصورنا كما في حرب 2006. ... لم يتضح الأمر مع حماس بعد...

لماذا يتكرر كل شيء؟.. لأننا ما زلنا نحن.. ولأنهم ما زالوا هم... لم يتغير أي طرف.

تعال معي نبتعد عن غزة قليلا.. تعال إلى شارع الهرم لنعيش تجربة أخرى رأيتها ألف مرة.. شقة مفروشة إيجارها ألفا جنيه في الشهر.. أربعة أجهزة كمبيوتر.. برنامج جرافيكس.. شباب من خريجي كلية الفنون الجميلة. وخمس دقائق من الرسوم المتحركة تظهر (علي باب) أو (جحا) وهو يلوح بيده ويقول كلاما لا تسمعه لأن الصوت لم يضف بعد. مخرج متحمس ينوي صناعة حلقة Pilot لتسويق هذا الفيلم في دبي.. ثم لا نرى أي شيء أبدا، وتختفي هذه الشركة ويختفي هؤلاء الشباب. ديجا فو.. أعتقد أنني زرت ذات الشقة مئة مرة وقابلت الوجوه نفسها في كل مرة.

بنفس الظروف تقريبا رأيت مئة مجلة أو جريدة شبابية تصدر وتموت بعد عددين. نفس الوجوه.. نفس الأفكار.. نفس الكلمات. مثقفو وسط البلد بالقلنسوة الصوفية أو (الأوفرول) على طريقة (إيمينم) والتجريدية والجينز. يكتبون لعدة أماكن لابد أن من بينها الدستور وبص وطل.. بعضهم يعمل في إحدى القنوات الفضائية. بطلهم العالمي هو جيفارا وبطلهم المحلي هو منير وأحمد فؤاد نجم. الجلسة في مقاهي وسط البلد وتدخين الشيشة في نهم

والنكات البذيئة والثورة على كل شيء.. عالم المدونات ونقابة الصحفيين والفشل في الحصول على كارنيه.. بعضهم يكتب الرواية الأولى التي لا يستطيع نشرها والتي يتناول موضوعها لكن الحشيش يلعب فيها دورا مهما جدا.. هناك خلطة محكمة معروفة مقاديرها ولا تفشل أبدا: ثورة – تجديف – جنس – يأس – حشيش.. تتغير الأسماء لكن الوجوه والثياب والأفكار هي هي.

كم مرة جلست فيها مع ذلك المخرج الشاب المتحمس الذي درس بالخارج، والذي يريد أن يقدم أول أفلامه معي؟.. قلت له إنه لابد أن يجد منتجا قبل أن يبدأ. فيؤكد في ثقة أنه يعرف من يقنعه معه سوف تختلف الأمور. كم مرة طورنا فيها فكرة ما وكتبت لها معالجات، وكتبنا السيناريو؟. ثم تبدأ المراحل التي أعرفها جيدا.. ملاحقته لي لأن الوقت ضيق.. ثم الفتور.. ليس العثور على منتج سهلا. ثم قلة الحماسة.. فالاختفاء.. ثم عدم الرد على مكالماتي. للمرة الألف تعرف أن المنتج هو كل شيء بينما المخرج (عندنا مثلا) لا يملك من أمره شيئا..

خذ عندك كذلك فرق مسرح الأقاليم والثقافة الجماهيرية.

مخرج المتحمس الذي يريد أن يقدم نصا شهيرا، لكنه يمسك في خبث لأنه سيدس فيه رموزا وإسقاطات لا تنتهي.. سوف يفهم الحكومة دون أن تدرك ذلك . يشعر بأنه يقود ثورة . المخرج هو ابن البلد أو بهلوجي ومصر هي الفلاحة الأصيلة . الحاكم الظالم هو العمدة أو صاحب العصارة أو العزبة.. لا بأس بأغنية للشيخ إمام هنا أو تقليد ساخر خبيث للحاكم هناك. أو أن يهتف الناس في مسرحية (ماكبث): بالروح.. بالدم.. نفديك يا ماكبث.. هذا إسقاط جبار . إسقاط عبقري.. الثورة قادمة .

البروفات والصراخ المجنون في الممثلين. والمسرح المترب والخيش الذي يتدلى من السقف.. نصف البراسمين.. الممثل الذي يجري من عمق الكواليس إلى منتصف المسرح ليصرخ منفعلا أكثر من اللازم. فلا نفهم حرفا مما يقول. ثم يسقط على ركبتيه ليحدق للسن.. الأصوات مبحوحة من الصراخ. رأيت هذا ألف مرة. وفي النهاية ترى المسرحية وقد جلس في قاعة المخبرون ورجال الأمن المركزي الذين هم الجمهور الوحيد، والذين اكتسبوا ثقافة مسرحية [illegible] السوربون . تنتهي المسرحية فلا تحدث ثورة ولا

يذكرها أحد..

أمثلة الديجا فو كثيرة جدا . جدا.. ولو أحصيت الأمثلة لاحتجت إلى عشرين مقالا آخر. لا أعرف السبب فعلا. هل الحياة تكرر نفسها بهذا الشكل الممل؟ أم أنني عشت أكثر من اللازم؟

أنتهي المقال. ومن جديد يعتريني الشك بأنني قلت هذا الكلام من قبل في مكان ما..! . هل يمكنك أن تذكرني من فضلك؟

أنا لم أتغير.. الحياة تغيرت

هناك ناقدة أمريكية كانت تحب فيلم (ذهب مع الريح) وشاهدته عشرات المرات. فجأة شاهدته عندما تقدمت في العمر.. أثار دهشتها أنها لم تنفعل وبدا لها سخيفا مفتعلا. وكتبت تقول: "الفيلم تغير!.. لم يعد نفس الفيلم الذي كنت أشاهده قديما!"

هذا هو السؤال الأبدي الذي يطاردك عندما تكون في سني: هل الحياة قد ساءت حقا أم أنني لم أعد كما كنت؟

في صباي كنت أسمع أبي لا يكف عن استعادة ذكريات صباه.. كانت الدجاجة بحجم الخروف والخروف بحجم ديناصور ترايسيراتوبس، وكانت للأزهار رائحة حقيقية.. زهرة واحدة كانت تعطر بالشذى حيا كاملا من أحياء دمنهور – حيث ولد – تعلم من

الفراولة والتفاح.. كان يمكنك أن تعرف أن هناك من ابتاع نصف كيلو تفاح أو فراولة في دمنهور كلها لأن الرائحة تتسرب لكل شيء.. كانت الأغاني أعذب والفتيات أجمل والأفلام أمتع والبشر أنقى...

كنت أسمع – أو أتسمع – لهذا الكلام في تأدب، وإن كنت أنقل قدمي مائة مرة في ملل أخفيه. وقد بدا لي خيط لا ينتهي من كلام الشيوخ المعتاد: "هي الفراخ بتاعتكم دي فراخ؟.. دي عصافير.. كنا نشتري عربية فينو ودستة بيض بنص ريال.. إلخ"

حدثني أبي عن أفلام عصره وعن أيرول فلين المذهل وجيمس كاجني العبقري و..و.. على الأقل صار بوسعي اليوم أن أرى هذه الأفلام كدليل لا يدحض، فلا أرى فيها أي شيء خارق.. بل الحشو الهوليوودي المعتاد والكثير من الافتعال

بحثت عن نقاء الناس في ذلك العصر. فقرأت عن (ريب [illegible] من عمرها عام 1933، والعانسة النقية التي ضبطت زوجها التقي مع [illegible] الذي اقتحم مكتب الناقد الذي لم يرق له فيلمه الأخير شاهرا

مقدسة؟. كان هناك حي دعارة معين شهير جداً في طنطا اسمه (الحبيرة) واليوم صار سوقاً شعبية محترمة .. أين هذا الماضي المعهود دي ؟

لكن أبي يرحمه الله عاش ومات وهو مؤمن بأن الحياة قد صارت سيئة، كأنها صورة صنعت منها نسخة فلو نسخة فلو نسخة حتى بهتت ولم تعد لها قيمة

اليوم أعترف أن بدوري على الدور فيبدو لي أن الحياة كانت أفضل في صباي بكثير. قلت لابني إن الأغاني في عصري كانت أعذب والسينما أجمل والأفلام أمتع والبشر أنقى .. أرغمته على مشاهدة بعض أفلام السبعينات عن عزيز (الأب الروحي) و(قصة حب) شاهدها وقال لي بصراحة إنها (زي الزفت) أغاني البيتلز والابا وإلفيس جيز (سخيفة) جداً في رأيه.. ولم يحب أبداً أغنية من أغاني وردة الجزائرية المحترقة في أواخر السبعينات مثل (حكايتي مع الزمان) و(اسمعوني)... طبعاً لم أحاول أن أسمعه أم كلثوم فأنا لست مجنوناً . لن يفهمها ولو بعد مائة عام..

قلت له في غيظ إنه بعد عشرين سنة – أعطاه الله العمر –

سوف يسمع ابنه أغاني (شاجي) و(انريكي اجليسياس) و(فيرجي) ويعرض عليه أفلام (الرجال اكس) و(الفرس الأسود). لكن الوغد الصغير سيؤكد له أنها (زبالة). إلا أن ابني لم يصدق.. يعتقد أن الأخ (شاجي) خالد للأبد

نعم كان لرمضان رائحة وحضور في الماضي. كانت هناك رائحة مميزة للعيد.. تصور أن عيد الثورة كانت له رائحة!.. كان قدوم الربيع يعلن عن نفسه مع ألف هرمون وهرمون يتفتح في مسامك. فتواجه مشكلة لعينة في التركيز في دروسك والامتحان على الأبواب. بينما الحياة ذاتها قد تحولت إلى فتاة رائعة الحسن تنتظرك. أذكر يوم شم النسيم وأنا في الصف الثالث الإعدادي، أمشي في شوارع طنطا التي ما زالت خالية في ساعة مبكرة، مزهواً بنفسي أوشك على أن أطير في الهواء، وأتمنى لو عبأت الكون كله في رئتي.. بينما المحلات تذيع أغنية حفل الربيع التي غناها عبد الحليم حافظ أمس (قارئة الفنجان).. تصور أن الأغنية ما زالت طازجة ساخنة خرجت من حنجرة الرجل منذ ساعات لا أكثر. للمرة الأولى أسمع (بحياتك يا ولدي امرأة.. عيناها سبحان المعبود)..

ت شاب.. لقد كبرت.. لن تتغير هذه الحقيقة.. الغد أفضل بمراحل. الكون كله ينتظرني. سوف أصير أمين عام الأمم المتحدة وسوف أركب ويش وأفوز بجائزة نوبل في الأدب. وفي وقت فراغي [illegible] في إجراء جراحات الجهاز العصبي. هذا قد يحصل [illegible].. قد أصير أول رائد فضاء عربي (بطرة). وسوف أصير وسيما أشقر الشعر أزرق العينين. لا أدري كيف.. يجب أن تكون في الخامسة عشرة لتفهم..

نعم.. لم يعد شيء في العالم كما كان [illegible] الفراولة والحق ثمرها بأسي وأشم بعمق.. لا شيء. لو حشرت ثمرة منها في رئتي فلن أجد بها رائحة. ماذا عن النعناع الذي لا تقتنع بأنه ليس من البلاستيك إلا عندما تقضم منه قطعة ؟.. عندها تحتاج لثمرة أخرى كي تقتنع أنك لم تقضم قطعة من الباذنجان.. أين ذهب جمال الفتيات وبات لم أعد أرى إلا المساحيق الكثيفة. حتى تشعر أن كل فتاة رسمت على وجهها وجها آخر يروق لها [illegible] أين ذهبت العواطف الحارقة القديمة عندما كنت تكتب عشرات القصائد من أجل ابتسامة حسناء [illegible] اليوم لو تزوجتها وأنجبت منها عشرين

خطلا فلن تجد في هذا ما يأتي بالإلهام

الإجابة التي تروق للمسنين هي: الحياة تغيرت ولم تعد هناك بركة.. لكن الإجابة الأقرب للمنطق هي: الحياة لم تتغير.. أنت تغيرت.

ربما صار شمي أضعف.. ربما صار بصري أوهن.. ربما صار قلبي أغلظ. ربما تدهورت هرموناتي.. ربما صرت كهلا ضيق الخلق عاجزا عن أن يجد الجمال في شيء. ربما ما زالت الفتيات جميلات والفراولة عطرة الرائحة وأغاني هذا الجيل جميلة.

نعم هو المنطق ومن الصحي أن أعترف بهذا.. لكن من قال لك إنني أريد أن أكون كذلك؟. أفضل أن أظل شابا على أن أكون ناضجا لهذا أقول لك بكل صراحة: الحياة صارت سيئة ولا تطاق فعلا.. الله يكون في عونكم. هيا أيامكم دي أيام ؟

ملاك حساس.. يا للكارثة!!..

كلما تلقيت مكالمة من (سلمى) عرفت ما سوف تقوله على الفور.. لابد من عبارة البداية:

آه يا ربي.. أنا مرهفة رقيقة وسط كون لا يفهمني.. لا أحد يفهم كم أنت حساس رقيق.

هذه نقطة مهمة لدى هذه النوعية من الفتيات: الكون ينقسم إلى من لا يفهمون. وهؤلاء الذين لم نفهمهم بعد.. الذين لم نلتقهم بعد يدخرون دورهم كي يصيروا ممن لا يفهمون..

- "الصداع يوشك أن يقتلني"

الصداع والآلام تعد جزءاً من أسلوب حياة هاته الفتيات.. من خبرتي الطبية أعرف أنهن يصبن بالصداع قبل أن يعرفن أن لديهن

رأساً..

تمشي معي سلمى في الشارع فتجري وراء ذلك الطفل لتلحق بنت البيت وتطلب منها بعض المال. فتشحط فيه وتحمر عيناها حتى ليوشك الشرر أن يخرج منهما.. ثم تواصل كلامها معي:

- "الناس قد تغيرت والنفوس لم تعد كما كانت. لي صديقة كنت أحبها وتحبني ثم تغيرت ونقلت عني كلاماً كذباً لواحدة أخرى. وهذه الأخرى كانت قد نقلت عني كلاماً لواحدة أخرى غير الواحدة الثانية. فنقلت عني كلاماً سيئاً لخمسة وصلني عن طريق..."

نمر على باب كافتيريا.. هنا نرى قطة صغيرة تموء من الجوع ويبدو أن سيارة يقودها وغد ما قد هشمت ساقها الأمامية..

تقول (سلمى) وهي تفتح باب المطعم:

- أنا أحب القطط الصغيرة لأنني مرهفة الحس.. كنت أحكي لك عن صديقتي.. لا أعرف كيف سمح لها ضميرها بذلك. ولا كيف استباحته لنفسها. قطعت علاقتي بها لكن الجرح ما زال ...

نجلس الى مائدة في الكافتيريا ونطلب الشاي.. نرفع رأسينا للتلفزيون المعلق هناك والذي يعرض مشاهد من نشرات الاخبار. هناك من يبكون ويصرخون والدم ينزف من جراحهم في حرب غزة.. ثم تنتقل الكاميرا الى ضحايا حادث قطار مفجرين في روسيا.. ثم نرى مشاهد من مظاهرات تيبت. يموت الكثير في القتل والاغتصاب في مدن هناك.

طلبت من الساقي ان يحول القناة. لو كنا قد جئنا هنا كي نتعب فمن الاسهل ان نبقى كئيبين في بيوتنا. لكن سلمى تواصل الكلام وهي ترمق الشاشة

- "لقد تخلى عني عزّ الناس عندي وهو من وثقت به جدا. فقط عني كلام محرق يحرق لكنك لا يهمك ان تعرفه. وما أدهشني به هو كون النفوس تتغير من لحظة لاخرى

ثم بدأ الدمع يتجمد في عينيها.. وهمست.

- "مشكلتي هي أنهم لا يعرفون كم أنا حساسة.. ابي لا يفهم هذا.. أخي لا يفهم هذا.. انت لا تفهم هذا."

عندما خرجنا اخيرا بعد نصف ساعة كان

الفاتح من فرط ما سمعته، وشعرت بأنه يوجد عينين وان ساقي لا تتحملان وزن رأسي..

كانت القطة الصغيرة الجائعة تنتظرنا على الباب فركلتها (سلمى) ركلة قوية بطرف حذائها لتبعدها وقالت:

- "انا أحب القطط والاطفال فعلا.. أحبهما. أشعر بأنني ملاك مرهف جاء من عالم آخر الى هذا العالم الذي يعج بالشياطين. ألا ترى هذا معي ؟!

(هذا المقطع من قصة قديمة لي ولا علاقة له بالواقع على فكرة)

ثمة مقولة لأوسكار وايلد على لسان بطل من أبطال قصصه: "الانسان الحساس هو الشخص الذي لأنه يشعر بألم في قدمه، لا يكف عن وطء أقدام الاخرين". كالعادة هذا الرجل عبقري. لقد قدر لي الحظ أن أتعامل مع عدد هائل من الحساسين في حياتي. وكنت أعتبر نفسي منهم في فترة من الفترات. لكني وجدت أن معظم الحساسين الذين قابلتهم هم أولئك الاشخاص المتعلقون على ذواتهم

يلتهمون انفسهم طيلة الوقت ويرونها محور الكون. مهمتهم ان يشعروا الاخرين أنهم وغد وان يمنحوهم الشعور بالذنب وعدم الراحة للابد.. يمكنهم ان يسهروا عدة ايام يبكون من أجل كلمة عنيفة قيلت لهم، وفي هذا نوع عارم من التلذذ الماسوشي المريض.. لكن تعجب كذلك انهم قد يرون طفلا يموت جوعا في نشرة اخبار فلا يهتزون شعرة. بينما كنت احسب الشخص الحساس هو الذي لا ينام بسبب آلام الاخرين

ها هو ذا الوحيد منهم يجلس وحده حزينا دامع العينين يفكر في استمتاع مرعب في الاساءات التي سببها الناس له. كم هو [illegible]. لا يوجد شيء جيد في العالم.. لا يوجد شيء جميل السعادة لا وجود لها على الإطلاق. كم ان هذا رائع! . كم ان هذا ممتع!

عندما ارجع للمدونات التي تكتبها الفتيات او الاسماء اللاتي يستعملنها في المنتديات وبرامج الثرثرة (الشات). فإني أندهش من الصورة التي ترسمها الفتاة لنفسها عندما تتخذ [illegible] الحساسة.. البائسة.. الفتاة النقية.. الحيوة

نرجسية لا توصف.. وإعجاب بالنفس لا حد له. من الصعب أن تقنع نفسك بأن هذه الفتاة تخاطب نفسها وانك تحسبها عاشق يغازل فتاة. فقط العاشق هو من يطلق على حبيبته اسم (القطة الشقية) أما ان يطلق الشخص على نفسه هذا الاسم. فتصرف غريب يدل على انه يعاني حالة عشق للنفس مفرطة.. ولسبب معروف هو ان كل تلك الصفات صفات كاذبة، لهذا أحمل احترام شديد للبنات اللاتي يطلقن على انفسهن أسماء مثل (بنت عنيدة) و(مصاصة الدماء) و(مصاص الدم) .. الخ.

ثمة صديقة ارسلت لي خطابا مهذبا تطلب فيه ان أكون لها صديقا وابا. فرددت عليها بأنني ارحب طبعا.. هل يمكنك ان تعرفي شيء آخر؟ . هنا جاء ردها. "هل فهمت ما اعنيه؟". انت كنت مهذبا ومع هذا واضح أنني لا امثل لديك اية اهمية!

رددت عليها في شيء من الحدة قائلا: " رجوا أن تكوني مكاني. لم نتبادل سوى خطاب واحد فصارت هناك مشاكل سوء فهم و(قعدات صلح) . الخ. فعلا أنا مررت بهذا الموقف ألف مرة من قبل قلت إنني سأكون ابا لك وهذا يشرفني. لكنك تردين بأنني لا اهتم..

طيب .. ماذا أفعل؟ .. وفي النهاية أنا أعرف ما ستقوله [illegible]

كنت أحسبك تختلف عن الأغبياء الآخرين، لكن للأسف أنت مثلهم

أو أسوأ .. سأعرض لرسالة تلقيتها ذات مرة من قبل ونسختها واحدة

حتمية. يذكر د. (عادل صادق) تحت عنوان (ألعاب نفسية) نفس

اللعبة، ويقول إن تهديدك أن تشعر بأنك غبي لا تفهم والطرف

الآخر يستمتع بشعور أنه حساس لا يفهمه أحد بصراحة الحياة

أبسط من هذا.. أنت تحتاج عزلة في أي شيء. فقط أتمنى من الشخص

الحساس أن يرفق بالآخرين قليلاً وأن يحاول أن يفهمهم ولو مرة

كما يحاولون فهمه"

الإنسان الحساس يدوس بلا توقف على أقدام الآخرين .. "لا

أحد يفهمني.. كلهم أوغاد .. إن ما حدث لي هو شيء فريد لم يحدث

مثله من قبل ولا من بعد".. باختصار هؤلاء القوم مرهفو الحس هم

ربابنة الحياة الأدبية.. يعذبون المحيطين بهم بلا توقف.

ما سيحدث لك يا صديقي الشاب هو أنك ستبحث عن فتاة

حساسة، وأنت تشعر بأنك الفارس الشجاع الذي سينقذها من كل

هؤلاء الأوغاد. بعد أعوام ستكتشف أنك قد صرت من هؤلاء

الأوغاد.. لا يفهمني".. إذن نلتقي بعد عشر سنوات لتخبرني أي

بحر قهري مما حدث لك!

[illegible]

أخبرتني بشدة حادثة ذبح تلك الزوجة والأم المصرية المحجبة الوديعة على يد خنزير ألماني عنصري متعصب. أعتقد أنها من الحوادث القليلة التي شعرت كل بنت في مصر بأنه فقد واحدة من بناته. لست المتعصب بجنون. بل أنني متعصب في كراهيتي للتعصب. وهذا الحادث يمس كل شيء أمقته وأحتقره في الحياة.

هناك دائمًا طرف يحتكر الصواب، ويؤمن أن الطرف الآخر الذي لا يشبهه ثم وجوده على قيد الحياة جريمة في حد ذاتها. وما فعله ذلك الخنزير الألماني هو أنه رأى أن المرأة المحجبة لا حق لها في الحياة لأنها لا تشبهه، وذلك ما نكرره نحن يوميًا على نطاق أضيق.

عرفت نوعًا [illegible] لطيف وتعاملت معهما. أذكر أن هناك من

علق على قصص (ما وراء الطبيعة) في شك قائلاً: "لماذا لا تضع آيات قرآنية وأحاديث شريفة في القصة؟!.. هه؟". السبب ببساطة هو أن السياق لا بد أن يتطلب ذلك. لعلها من المرة الوحيدة التي نشرت فيها نص آية قرآنية (نسختها من المصحف بسبب دواعي التدقيق) فاختلطت المطبعة في جمعها، وما زالت القصة في الأسواق بما فيها من خطأ شنيع مقترن باسمي طبعًا. ولهذا قررت ألا أنشر أية آية مرة أخرى أو أكتفي بذكر رقمها واسم السورة. على الطرف الآخر ذكرت في إحدى القصص أن (رفعت) صلى الفجر، فقال لي صديق آخر في دهشة الخبير: "كف عن تملق القراء!. هذا السطر موضوع بالذات لاستجلاب مرضاتهم. ولا أشك في أن هناك قرّاء كثيرين مسّهم ذلك تكسبًا!". هكذا تجد مربعًا ومحروشًا من الجهتين. أنت لست متدينًا بما يكفي. أنت لست علمانيًا وشجاعًا بما يكفي.

يشكو اليساريون دومًا من تعصب الطرف الآخر واحتكاره للحقيقة، لكن هذا الكلام يصلح في الاتجاهين معًا. فلو أنك أبديت نوعًا من الإعجاب بالحجاب فأنت قد وثبت وثبة واسعة للخلف وللماضي.. والأسوأ لو أنك أبديت إعجابًا بالنقاب.. وهكذا نجد أن

يدب على الطرف الآخر (أيمن ظواهري) آخر، لكنه ليس ملتحيا بل يدخن الغليون ويقرأ (كافكا) و(سارتر)، ويتحمس محدثه كلما سمع كلمة (تدين). أذكر عصبة المثقفين على المخرج العظيم (صلاح أبو سيف) عندما قدم فيلم (فجر الإسلام). (صلاح أبو سيف) ذو ميول اشتراكية لم يخفها يوما. لكن من حقه أن يهتم بموضوع ذي صبغة دينية أو يجد في أيام الإسلام الأولى ما يروق له من تحرير للمهمشين والفقراء. هذا من حقه، لكنهم لم يغفروا له هذا قط واعتبروه سقطة مروعة، واعتبروا الفيلم أسوأ أفلامه.. هناك دوما تهمة (الرجعية) أو (الانحياز الايديولوجي). والحقيقة أن نعمة الحرية يجب أن تمارس بنفس القوانين مع الفريقين. وأول من يستخدم شيئا غير عقله وقلبه ولسانه يحصل على نعمة قاعدة (لا حرية لأعداء الحرية)

لست ذا ثقافة دينية متبحرة. ولا أحب أن أتدخل فيما لا أعرفه جيدا، إن الطب والقانون والدين مجالات يعتبر كل إنسان نفسه خبيرا فيها. وهذا يثير غيظي ولهذا السبب لا أستطيع أن أدلي برأيي في قضية النقاب. استريح كثيرا للحجاب الشرعي الذي

نعرفه والذي يذكرنا بزي الفلاحة المصرية. فهو يوحي باللطافة والطهر. وهو بالطبع يختلف عن حجاب جوري الملطخ الشائع اليوم. حيث تلبس الفتاة أضيق وأفحش ما يمكنها [illegible] غريبة ثم تضع قطعة قماش غريبة بالترتر على رأسها، وتعتبر نفسها محجبة [illegible] في المجتمع. بالنسبة للنقاب أميل لرأي زكي [illegible] لو كان النقاب فرضا فلماذا يفرض الإسلام كشف الوجه في العمرة؟. عن أي شيء نبحث لنحصر في مجتمع من المنقبات خال من الأبعاد الإنسانية والأمنية بشكل مطلق. حيث يصعب عليك أن تتأكد من شخصية من تتعامل معه.

كانت هذه الخواطر في ذهني، وأنا أحضر حلقة دراسية (سيمنار) عن تشخيص أمراض القلب بالموجات فوق الصوتية، وهو موضوع لا أعرف عنه شيئا بحكم بعده عن تخصصي. كانت الأستاذة الجامعية التي تقدم السيمنار منتقبة. كانت بارعة فعلا وقد جعلت هذا الموضوع المعقد يبدو شديد السلاسة والعذوبة. أثناء كلامها دق آذان الظهر فتوقفت لبضع ثوان ورددت بعض مقاطع الآذان. ثم عادت للشرح. هكذا بلا مغالاة أو افراط.

بعد نصف ساعة لم أعد أتابع ما تقول.. كنت أفكر: ما هي المشكلة إذن؟ . هذه سيدة محترمة تجيد عملها، ومن الواضح أن ثيابها لم تعقها عن أداء واجبها أو لعب دور مهم في المجتمع . انها تعرف ما تتكلم عنه وتنصت باهتمام لمن لا يعرفون.. والنتيجة هي ان تجربة عربية بالغة التقدم تتحول إلى خبرة عادية للطبيب العربي الشاب.

الحقيقة أنك عندما ترى فتاة منتقبة تفترض تلقائيا أنها لا تؤدي عملها جيدا أو لا تقدر على أدائه. وأنها تمثل بالضبط ضد العلم وضد الحضارة. لكن هذه الطبيبة تبرهن لي على أنني مخطئ وأنني – مهما زعمت – لعبت بدوري لعبة التعصب

من حقها إذن ان تلبس ما تريد وهذا صميم حريتها الشخصية. بشروط أعتقد أنها تحققها فعلا

1- أن تؤدي عملها جيدا وأن تعرف قيمة العلم وتحترمه، فلا تدعو لنبذ الإنسولين من أجل البردقوش. ولا تقضي الوقت في الدعاية لقطرة العيون المستخلصة من العرق والتي تعالج داء الكتاركت، بينما كل أستاذ عيون حقيقي يعرف أن هذا كلام فارغ

2- أن تكون عادلة وأن تعامل (بريبي) و(فكتور) وتصححهما على قدر العلم الموجود في رأسيهما وليس على حجم وشم الصليب على معصميهما

3- ألا تتعالى عليّ باعتبارها صمتت مكانها في الجنة ... في النار. يجب الا تتكلم باعتبار كلماتها مقدسة ... [illegible]

هل حققت لنا هذه الشروط ؟

نعم :

اذن لماذا الضوضاء بالله عليك ؟ ولماذا لا نتكلم عن شيء آخر اكثر نفعا ؟

بالفعل نحن لا نكف عن الحديث بعرض واستحداث عن مصادر في كل شيء. لا نكف عن ركن الغبار ليعمي عيوننا. دعك من النقاب لأنه موضوع ذو حساسية خاصة. ولنتكلم عن الحجاب العادي.. كانت هناك مشاكل عنيفة حول الحجاب فيما سبق. برغم انك لو لم تعتبره زيا دينيا فهو يوشك على أن يكون زيا شعبيا للمرأة العربية

في حفل الأوسكار الذي نال فيه (أ. رحمن) أوسكار أفضل أغنية وموسيقا تصويرية، كان يلبس ثيابا هندية بالغة الأناقة. والنساء كن يلبسن الساري مع لمسة عصرية محببة. تخيل كم كان سيبدو سخيفا كالقرد لو ارتدى بدلة السهرة والهنديون مثل الدمى بريه لتهدي بد أكبر اصابه وثقه وتجبرا . لا احد يتكلم عن الهنديات تمشيت بساري في عواصم العالم، ولا عن سيخي نيويورك بسبب ذوي العمامة الضخمة.. لا احد يتكلم عن طاقية اليهود ولا شلوار الباكستانيين ولا قبعة الهولنديين. فما هي مشكلة في أن ملبس المرأة العربية هذا الزي الذي يعبر عن تراثها وشخصيتها وثقافتها؟ وهل تضمن لي أن التخلي عن الحجاب يحمي التقوى ونهضة الأمة وسترجع لوء الإسكندرونة؟

ومن جديد أنا لا أتحرر إلا لما يروق لي. ولا أحسب نفسي على أي طرف من الأطراف، وهذه هي المشكلة وعليك أن تتحمل النتائج.. إنك لا تصير صديق الجميع أبدا وإنما أنت مهدد دوما بأن تخسر الجميع!

ر تكتب في السياسة

ان اكتب في ...

الامر يعود لمشكلة صغيرة. تتعلق بموت زوجتي وحدها مع وحشين صغيرين مفترسين لا يكفان عن العراك والشكوى والصخب. هذه فوضى لا توصف.. كل موقف أعرفه له مثل معروف هدى يكتب فيه. وبعضهم من لجأ الى المدير مثل عمنا العبقري خيري شلبي لكني ما زلت اجد نوعا من التحديق والابداع في ان اترك البيت كل صباح واذهب للكتابة ثم اعود في المساء.. يعني دستويفسكي يا حي!.. دعك بالطبع من أن زوجتي تجد الفكرة سخيفة.. اوشك أن اسمعها تقول لصديقتها على الهاتف:

ـ" البعيد واحد فتح لنفسه عشان يكتب!.. ال يكتب آل!"

ومن هنا فإن سمعة الزجر غير مهددة. وإنها ليست كعود الثقاب الذي لا يشتعل إلا مرة واحدة؟ . إذا كنت تعتقد أن هذا الكلام للنساء فقط فإنك ... ستكون أديبا عظيما.

هكذا أقرر أن أكتب في البيت. وهنا تبدأ المشكلة التالية. لقد اعتدت الكتابة على الكمبيوتر، بحيث صرت فعلا أجد عسرا في الإمساك بالقلم. وهناك في البيت جهاز كمبيوتر واحد . والسبب؟ أعتقد دوما أنه من الخطر ترك مراهق وحده مع جهاز الكمبيوتر خاصة في عصر الإنترنت. حيث يكفي أن تكتب بضعة حروف مثل (بيبمسمعدبقي) لتجد نفسك في ألف موقع بورنو عرفته الشبكة. اكتب (vdarshgdgdhgdmmnnh) ولسوف تجد نفسك في موقع لهواة أكل لحوم الموتى بعد تعذيبهم، أو موقع لهواة العلاقات المثلية مع سحلية الأجوانا. ذات مرة تركت ابنتي الصغيرة تلعب أمام الكمبيوتر وخرجت . عدت لأجدها توشك على استكشاف موقع قادها له إعلان تلو إعلان تلو إعلان. أدركت في هلع أنه موقع مخصص للثرثرة بين مصابين بانحرافات جنسية.. هكذا لم أغلق النت. أغلقت الجهاز والحجرة ذاتها وخرجنا نشم الهواء

لا مانع في برامج الرقابة على الإنترنت مثل (سايبر باترول) و(نت ناني) لأن الثغرات تحدث. لهذا أحب أن يستخدم أطفالي الجهاز وأنا بجوارهم وبغرفة مفتوحة. ولنفس السبب لا أستعمل في البيت سوى جهاز كمبيوتر واحد فلا تحسبن أن البخل هو السبب.

المشكلة هنا أن الإنترنت مغرية جدا ومليئة بالألعاب الشائقة. والمشكلة الأسوأ أنني أستعمل ذات الجهاز للكتابة . كل ما يخص عملي أضعه عليه من أول قصة كتبتها حتى هذه اللحظة، ومن رسالة الماجستير حتى آخر بحث لم ينشر بعد. من هنا تنشأ ورطة في البيت..

الآن ابنتي تدخل الحجرة. تقف بجواري في ملل. تعبث في الأقلام على المكتب.. تدور من حولي . أسألها عما هنالك فتقول:

- أنتظر أن تنتهي.. أريد أن ألعب

أقول لها إنني سأمضي وقتا طويلا جدا.. لا أعرف متى

***

كيف كنا – معشر الكهول – نعيش من دون كمبيوتر ؟ (عشت كذلك دون كمبيوتر حتى سن العاشرة) . لا بد أننا عشنا طفولة

شبيهه بحقويه بكلاب إذن. لتعبير على وجه ابسي يوحي بأنني أحرمها حقها في الأكل و شرب أو التعس. أي فاس شرير أنا..

بعد ربع ساعة تنصرف آسفة، ليظهر سمير اندى يريد ان يكلم زملاءه عبر برنامج (مسنجر).. يدور في الغرفة ويجلس على المقعد ويعبث بالاقلام، ثم يسألني في ضجر:

ـ"الا تنوي ان تخرج و تنام ؟"

ـ"نعم. لاحقا إنني أقوم بالتنقيح.. وهذا يستغرق وقتا لأنها عملية خلق ابداعية ولا يوجد زر نضغط عليه كي..

لا يبدو راغبا في سماع شيء عن لحظات الابداع. يريد الجهاز فقط، ثم هو مقتنع أن الامر ليس بهذه الاهمية والخطورة. وانا بالتأكيد لست تولستوي. والا لعرف هذا او لرآني اضاهي ملك السويد وانا اتسلم جائزة نوبل.. لو كنت ناجحا بهذا الحد فلماذا لم ابتع كمبيوتر آخر ؟.. يظل يراقبني مدة طويلة ثم يسألني:

ـ"ألاحظ انك لا تكتب أي شيء! "

اصيح في جنون. أن أفكر!.. افكر!.. لست موظفا في مكتب نسخ. وكيف افكر بينما هناك من يراقبني منتظرا أن أفكر؟.. لو

كنت (شكسبير) نفسه فلن أكتب حرفا بهذه الطريقة

أنهض للحمام – وهو حق فسيولوجي كما تعلم – وأعود بعد دقيقة لأسمع الصخب. ولاجد سيرك قد نُصب في مكتبي فلا يتبقى الا ... مباع تذكرة على الباب.. بوم بوم كراش فرررا.. ابني يصيح واسي يصرخ منتشيا، بينما على الشاشة رجل عملاق يطارد جرذ بصير في كل مكان.. أو عربة فضاء سوبهم ... يطاردون بشرا مذعورين ... المهم ان هناك الكثير من الـ (بوم بوم كراش فررررا)

أسألهما وسط الضوضاء

ـ ملفيييييييس ؟

ـ ماذا ؟

ـ هل فتحتما بمستحيل ما كنت قد كتبته ؟"

ـ لا

وبالطبع لا توجد طريقة للخروج من هذه اللعبة بالذات سوى باطفاء الجهاز ونسف ما كنت اكتبه

هكذا أصرخ فيهما وأطردهما كالذباب من الغرفه ... هناك

حل مصر هو وضع مزلاج على الباب من الداخل، لكن زوجتي سوف تتضايق من هذا الحل باعتباري أسجن نفسي وأتركها وحيدة مع هذين الطفلين الصغيرين.. لابد أنني أريد التحدث مع البنات المايعة.. هي لا تحب الكمبيوتر ولا تستعمله وتشك فيه، وتعتبره كتلة من الانحراف والفساد الذي تم تجميعه، إذن لماذا يعذب زوجها بأن يجلس وحده مع هذا الجهاز اللعين . .

لم أرى ليس أمامي سوى حل المزلاج، أو حل شراء كمبيوتر خاص بالطفلين مع ما في ذلك من خطر، أو أن أجد مهنة أخرى غير الكتابة، وأن أكتب في المقابر، أو أن أنتحر.. كلها حلول غير مرضية فهل عندك حل مدروس؟

خصوصيتنا.. حماها الله

يكثر الكلام عن (خصوصية المجتمع المصري) و(خصوصية التجربة المصرية)، كلما طالب أحدهم بإصلاحات ديمقراطية أو تعديلات دستورية، وهنا تصيح الحكومة "لنا خصوصية يا ناس نحن لا يمكن أن نقلد الغرب تقليدا أعمى" لكني بالفعل مقتنع بموضوع الخصوصية هذا في أمور أخرى غير الديمقراطية

فنحن نحن نسيج فريد بين شعوب العالم، الشعب الذي ينخفض عنده سعر الدولار فترتفع فاتورة الواردات، تهبط أسعار السلع في العالم كله بسبب الأزمة الاقتصادية فتشتعل هنا، تهرب سيارات للخارج ويجدد المسئولون مكاتبهم بالملايين، ثم تطالبك وسائل الإعلام بألا تشرب شايا وأن تضغط على الفول ربنا أعلم، وإلا

فأنت سفيه وسبب الأزمة الاقتصادية. ولهذا نجد أن لنا خصوصية فعلاً وأن الحلول العالمية لا تناسبنا على طول الخط. مثلاً يرى خبراء البنوك أن خفض سعر الفائدة حل مناسب للعالم، لكنه غير مناسب في مصر على الإطلاق..

الأسبوع الماضي هاجمت مباحث المصنفات شركة الكابل في شارعنا. بعبارة أخرى (لصوص الديش)، وهم مجموعة من الشباب يقومون باستخدام عدة مستقبلات ويشتركون في عدة شبكات، ثم يقومون بتوزيع باقة مختارة من القنوات على بيوت الناس والمحلات مقابل مبلغ شهري زهيد. يجب أن أوضح هنا وأؤكد إنني مشترك رسميًا في شبكة (آرت)، ومطيع جدًا لمشايخ الفضائيات الذين يوصون بعدم استعمال الوصلة التي تقلل من أرباح الشيخ (صالح). لكن إذا فكرنا في الموضوع أكثر من مرة وجدنا أن مصر بحاجة لاستثناء من هذا الموضوع.. أولاً هذه الشركات تمنح فرصة عمل شريفة لعدد لا بأس به من الشباب، ولولاها لزاد عدد من يهاجمون المارة بمطاوي قرن الغزال زيادة فلكية. ثانيًا هي فعلاً جعلت الجميع يشاهد الجزيرة ودريم و(أنيمال بلانت) وحتى القنوات الدينية..

باختصار تعدد وعي المشاهد المصري حتى بائعة الخضر والجزار والإسكافي، وهؤلاء ما كانوا ليهتمون بشراء ديش طبعاً. فهل هذه هي المشكلة فعلاً؟.. مشكلة الفرار من وضعية (المخ داخل وعاء زجاجي Brain in a vat) إلى العالم الرحب؟. الموضوع ليس حقوق الملكية الفكرية إذن وإنما هو السيطرة على تدفق المعلومات.

فإذا تركنا الكابل إلى عالم الكمبيوتر والبرمجيات، لصادفنا مشكلة أخطر.. ماذا سيحدث لمصر لو حُرِّم نسخ البرامج تمامًا؟.. أعتقد أن الشركات الكبرى تصاب بالذهول عندما تكتشف أن مصر كلها تتعامل ببرامجها، بينما بيعت نسختان فقط من كل برنامج في مصر كلها!. بعض البرامج الأصلية ثمنها أعلى من جهاز الكمبيوتر نفسه، وقد أصابني الهلع عندما قمت بحساب ثمن نسخة أصلية من النوافذ ونسخة أصلية من مكتب ميكروسوفت ونسخة أصلية من مضاد فيروسات. ماذا سيبقى في مصر وإلى أين ستذهب ثقافة الكمبيوتر لو تعاملنا مع القانون حرفيًا؟.. حتى الكمبيوتر في مباحث المصنفات عليه برامج منسوخة.. مستحيل أن يحدث العكس.. للأسف نكتشف هنا أن القرصنة جعلت كل شاب في مصر يجيد

استعمال الكمبيوتر والإنترنت.. صحيح أنه غالبا استخدام خاطئ غير مفيد، لكنه شأن لغة الكلام.. قد تستعملها للسباب أو للوعظ، المهم أن تتكلم أولا..

وماذا عن سرقة الكتب؟.. قبل أن تتكلم تذكر أنني من أوائل المتضررين من سرقة الكتب على النت، ومبيعاتي قد انخفضت بشكل كبير، لهذا أتكلم وأنا أعرف مشاعر الضحية. إن القراء على النت لا يعرفون أنهم يذبحون الدجاجة التي تبيض، وأن مشروع الروايات نفسه صار مهددا، لكني برغم هذا أرى أن المبدأ ليس مرفوضا بالكامل بالنسبة للكتب الغربية الممنوعة أو النادرة أو باهظة الثمن جدا.. أنا أتكلم إذن عن نتاج الفكر الغربي بالذات.. أرجو أن تحاول حساب المبالغ التي يدينون بها لنا مقابل كل ما سرقته بريطانيا وفرنسا من قطن وآثار لا تقدر بثمن.. بكم يقدر ثمن حجر رشيد وكم سعر رأس نفرتيتي والمسلة في ميدان الكونكورد؟. بكم كل النفط الذي سرقوه من دول الخليج وأجور العمال الذين حفروا قناة السويس، وأجور العبيد الأفارقة الذين خطفتهم الولايات المتحدة ليعملوا في حقول القطن هناك؟. ليس السارق الوحيد هو من ينسخ كتابا متداولا

على الإنترنت. وعلى كل حال كم يشكل من يقرءون باللغات الغربية في العالم العربي؟.. وما تهديدهم لأرباح الكاتب الذي لا يضعهم في الحسبان أصلا؟.. عندما جاء (باولو كويليو) إلى مصر يرغي ويزبد مطالبا بأرباح رواية (السيميائي) تبين له أن الأمر لا يستحق هذه الضوضاء، وأن القرصنة على روايته جعلت كل قراء العربية يعرفونه.. لهذا لم يتخذ أي إجراء قانوني وعاد لبلاده. أي أنه تبنى منطقي هذا في النهاية..

الأفلام كذلك عالم آخر.. إن سيد السرقة في العالم شخص مجهول لا يعرف أحد على النت جنسيته ولا اسمه ولا وجهه، لكنه يرمز لنفسه باسم «Axxo».. إنجليزيته بها بعض الأخطاء مما يشي بأنه لا يتكلم الإنجليزية أصلا. طبعا لو عرفوا وجهه لمزقوه إربا ولرفع المنتجون عليه قضايا بالمليارات. هذا الرجل هو روبين هود العصر الحديث الذي يأخذ من المنتجين الأثرياء ليعطي الشاهدين الفقراء، وقد اختفى لفترة فتصاعدت الصلوات والابتهالات عبر النت تدعو له بأن يعود.. هذا الرجل جدير فعلا بفيلم كامل ينتمي لقصص السايبر بانك. ولا أعرف لماذا لم يفكر أحد في ذلك

حتى اليوم. البديل لهذا هو أن تشتري الأفلام الأصلية بمبلغ لا يقل عن 180 جنيهًا للفيلم الواحد.. طبعًا مستحيل. أنا أجد أن المشاهد الغربي لن يُرهق كثيرًا بدفع مبلغ كهذا، وفي الوقت ذاته هو يضخ المال الكافي كي تستمر العملية الإنتاجية. فيقدم الفنانون مزيدًا من الأعمال الجيدة. لكن الأمر يختلف في مصر بسبب خصوصيتها التي تكلمت عنها، وعلى كل حال جمهور السينما هو جمهور السينما لم ينكمش. بينما صارت لدى الشباب المصري ثقافة سينمائية لا بأس بها تتضمن السينما الصينية والألمانية والفرنسية واليابانية وقد أثروا تجربتهم فعلاً، وهناك أكثر من مخرج مصري شاب تكونت ثقافته من السينما المكسيكية بالذات.. وأكرر أنني أتحدث عن فن السينما الحقيقي وليس عن (مشهد لا يفوتكم.. تعالوا لتشاهدوا الفنانة عزيزة جَنْح عارية في الفراش مع الفنان سيد سوابق). هذا النوع من الثقافة لا يلزمنا ولن نخسر الكثير لو حُرمنا منه!

القضية معقدة فعلاً.. لكن اتهام القراصنة بأنهم قراصنة ليس الحل الأمثل للمشكلة، ومعظم من يتكلمون عن الأمانة يكتبون آراءهم هذه على أجهزة كمبيوتر عليها نسخ مسروقة من مكتب

ميكروسوفت والنوافذ. هناك دول ستغرق بالكامل في مستنقع الجهل لو طبقنا عليها القانون حرفيًا.

ما أراه هو أن دخل الفرد في الدولة يجب أن يكون هو مقياس التعامل مع هذه الجرائم... دخل الفرد ووضع الدولة الاقتصادي ومؤشرات التنمية بها، بنفس المنطق الذي عطلت فيه الحدود في عام الرمادة والقياس مع الفارق طبعًا. بل إنني أدعو إلى أن تتبنى الدولة عملية القرصنة هذه فتوفر هذه المصادر بسعر رخيص للناس، وتسدد جزءًا من حقوق صاحب الملكية الفكرية.

نعم.. إن لنا خصوصية لا شك في هذا.. خصوصية في ظروف الفقر وفي معيشة الناس، لهذا أطالب بخصوصية في تطبيق هذه القوانين.. فإذا أرغمتنا الاتفاقات الدولية على العكس فإنني أطالب بأجور العمال الذين حفروا قناة السويس (على داير مليم).



د. أحمد خالد توفيق

الغث من القول



نشرت هذه المقالات في أماكن متفرقة، وإن كان معظمها في جريدة الدستور قبل اغتيالها، وفي موقع (بص وطل) على شبكة الإنترنت. يمكنك أن تجد كل حرف كتبته على شبكة الإنترنت لكنني في النهاية ابن الكتاب ورسمه، ولا أؤمن أنني كتبت شيئًا ما لم أمسك به مطبوعًا على ورق جميل .. تضع خطًا أو تثني صفحة أو تسكب كوب الشاي على الصفحة. هذا هو اختراع الخواجة (جوتنبرج) في كامل عنفوانه ومجده. لا يمكنك أن تشعر بالشيء ذاته في الفضاء السايبري حيث الكتاب مجرد ومضات إلكترونية وتبادل بين علامة الواحد والصفر.. دعك من الحاجة البشرية الطبيعية لأن تضع كل أولادك تحت سقف واحد.



